روايات عبير الجديدة

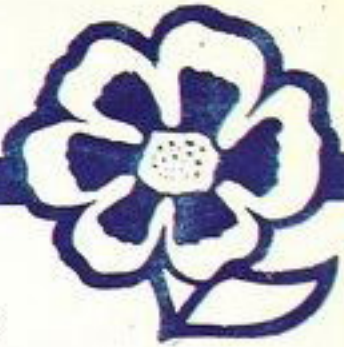

ماري ويبرلي

قد تحدث معجزة

www.elromancia.com

مرمورية

قد تحدث معجزة

ماري ويبرلي

لا شيء يسير على ما يرام مع أليزون... ستقفل المدرسة التي تعمل فيها أبوابها بعد العطلة السنوية.

ترى نفسها ايضاً مرغمة على بيع قصر العائلة الذي عاشت طفولتها ومراهقتها، والأسوأ من ذلك كله ان نيل ماكبان جارها وعدوها اللدود عاد الى القرية...

كيف ستتصرف عندما ستعلم بان مالك القصر الجديد ليس إلا هو؟.

www.rewity.com

- ١ -

بعد ظهر يوم عاصف، عاد نيل ماكبان الى مسقط رأسه قرية شيلباك في اسكتلندا.

في غرفة الصف، كانت «اليزون ماكاي» تستمع للصغير «ويلي» الذي ينشد الاستظهار، عندما لمحت من خلال الاشجار والمطر سيارة زرقاء. فنهضت واتجهت نحو النافذة.

«تابع، ويلي» أمرت الصغير.

من يأتي في أواخر أيار من هذا الفصل البارد إلى هذه البلدة التي تموت في الشتاء؟ لمع البرق في البعيد، وسلكت السيارة الزرقاء الطريق الوحيد لتتوقف قرب البحيرة ارتعشت اليزون رغم النار المشتعلة في المدفأة في زاوية الصف. خرج رجل من السيارة وعبر الشارع راكضاً

واختفى في داخل احد المنازل، منزل العجوز ماكبان...
سكت الصغير ويلي، فالتفت نحوه.

«جيد، ويلي، بامكانك الجلوس».

انها الساعه الثالثة والنصف، لا مجال لمتابعة الدرس، بسبب العاصفة، الاطفال اصبحوا متوترين واثنان منهم يبدوان مرعوبين.

«ارتدوا معاطفكم. سأسطحبكم الى منازلكم».

من حسن حظها، انها جاءت هذا اليوم بسيارتها، مع ان منزلها لا يبعد سوى مسافة كيلومتر واحد. لكن كان يكفي أن تخطو خطوة واحدة تحت وابل المطر هذا حتى تبتل كلياً.

أوصلت كل تلميذ من تلاميذتها الستة الى منازلهم. «فيغونا» الصغيرة كانت جارة العجوز ماكبان الذي كان منزله مضاءً كله. يبدو أن العجوز يستقبل ضيفاً هاماً. كل القرية كانت على علم بالنزاع القديم بين عائلتي ماكبان وماكلي.

«يا له من طقس رديء اليوم!» قالت اليزون وهي تدخل الى المطبخ حيث استقبلتها جسي مبتسمة.

«اجلسي، سأضع الشاي على النار».

«ارتاحي، انا سأفعل ذلك عنك».

«لا مجال لذلك» اعترضت مدبرة المنزل التي تبلغ الخمسين من عمرها.

«في هذا المنزل، لا احد يعرف كيف يعد الشاي غيري».

ضحكت اليزون بمرح وهي تجلس.

«اعرف ذلك، ارجو ان تعذريني» ثم اضافت متنهدة:

«اوه، جسي، ماذا كان سيحل بنا أنا ووالدتي، بدونك؟».

كانت جسي قد دخلت في خدمة آل ماكاي قبل ولادة اليزون وشقيقها أليك الذي يكبرها بخمسه اعوام.

هاجر أليك بعد زواجه الى كندا. اما السيد ماكاي فقد توفي أثر حادث طائرة وتقسيم الميراث أتى أخيراً على بقية ميراث العائلة كما وان شركة ماكاي للهندسة أفلست وباعت مكاتبها. على الاقل جسي بقيت، واليزون متعلقه بها كثيراً.

«والدتك بمزاج غريب هذه الايام. بدل ان ترسم في مشغلها كالعادة، اراها تروح وتجيء في المنزل وقد ارتسمت على وجهها ملامح لم نكن نعرفها من قبل... اظن بانها على وشك اتخاذ قرار مهم...».

«بشأن القصر؟» سألتها الفتاة وقد شحب لونها.

«اخشى ذلك» اجابتها جسي. «منذ ايام وهي لا تكف عن القول لي بأن المنزل اصبح كبيراً جداً علينا نحن الثلاثه، وانه بحاجة لبعض الترميم، هذا بالاضافة للضرائب...».

«كثيراً ما كانت تردد هذا...».

«لكنها هذه المرة، يا ابنتي، تتكلم جدياً. بيننا، اليست على حق؟ راتبك الشهري والشيكات النادرة التي يرسلها اخوك من كندا، وثمن لوحات والدتك لا تكفي لتغطية نفقات منزل بأهمية آل روشبرين».

«لا يمكنها التخلي عن القصر انه ينتمي لعائلتنا منذ اجيال طويلة! كما وان هذا القصر الكبير لن يجد له شارٍ».

«اوه، جسي».

«اسألي والدتك، ولكن بهدوء كي لا تزيدي همها»

«اعدك بذلك. ربما نجد حلاً. . . من يدري؟».

رغم مظهرها المرح، كانت اليزون فتاة حساسة جداً. تحب هذا القصر من كل جوارحها، وتعبد الجبال الميطة به وبالبحيرة.

بينما هي تغادر المطبخ، لمع البرق وشق الظلام، فاجتاحتها رعشة هزت كل اوصالها.

في المساء. وبينما هي تصحح دفاتر فروض تلاميذها، رفعت رأسها ونظرت الى وجه والدتها فلاحظت قلقاً غير عادياً في عيون الامرأة الصريحة الشفافة. لم تتحمل مخاوف الشك طويلاً، فتركت القلم من يدها، وقالت بصوت هادىء:

«امي. . . ماذا حصل؟ قولي لي بدون لف ولا دوران».

جحظت عيون الوالدة التي تظاهرت بالدهشة، لكنها لم تكن بارعة في الكذب. احست الفتاة بانقباض في قلبهاامام الحزن في نظرات والدتها، من كان يعتقد ان هذه الامرأة الجميلة الرقيقة، كانت مصممة ديكور لامعة؟ وكانت قد تخلت عن مهنتها بعد زواجها من روبرت ماكاي وكرست كل مواهبها للرسم.

«انا. . . لا افهم».

لكن ترددها فضحها. فنهضت اليزون وجلست بجانب

قدميها واسندت رأسها على ركبتي والدتها.

«اوه، امي! اننا قلقون عليك، جسي وأنا. هناك شيء يقلقك، اشعر بذلك. وبما انك ستخبريني عاجلاً ام آجلاً، فلماذا لا تفعلين الآن؟».

تنهدت الوالدة واخذت تداعب شعر ابنتها.

«يا عزيزتي. كان يجب ان افتح هذا الموضوع معك، انت اول من يعلم. . .» تقطع صوتها من شدة الانفعال فسكتت قليلاً ثم اضافت بصوت اكثر حزماً.

«نحن مضطرون لبيع روشبرين. . . ليس لدينا خيار آخر».

حبست اليزون دموعها التي تحرق عينيها.

«اذاً لم نكن مخطئين، انا وجسي. . .».

«لقد فكرت ملياً. واتخذت قراري رغماً عني اذا لم اخبرك من قبل، فهذا لانني كنت اتمنى حصول معجزة. . . ارسلت رسالة منذ مدة للسيد ستيوارت محامي العائلة. . . تصوري ان هناك شخص اتصل به في السنه الماضية وتوسل اليه كي يتصل به في حال عرض قصر الروشبرين للبيع! بدون شك، هو شخص يعرف القصر جيداً. اتصل بي السيد ستيورات منذ اسبوع واخبرني بأن هذا الشخص يرغب بمقابلتي. لهذا السبب انا متوترة».

اضافت وهي تربت على كتفي ابنتها بحنان.

«بالتأكيد يوجد حل آخر!» صرخت اليزون.

«ليت ما تقولينه حقيقية! ولكنك تعلمين ان هذا المنزل في الشتاء هو اشبه بالثلاجه، وبحاجة لجهاز تدفأه مركزي.

في الماضي عندما كان الضيوف يترددون على القصر، كانت النيران تبقى مشتعلة في كل الغرف، وكان لدينا الكثير من الخدم. بينما الان امكانياتنا معدومة تقريباً، وجسي لم تعد قادرة على العمل في هذا المطبخ الواسع المليء بتيارات الهواء».

التفتت اليزون نحو بوبي الكلب اللطيف، فرأته ممدداً امام المدفأة. فمدت يدها وداعبت رأسه.

«أمي... واين سنسكن؟».

«فكرت بمنزل الحديقة. فهو لم يستعمل منذ مدة طويلة. وبحاجة لبعض الاصلاحات، لكنه يناسبنا نحن الثلاثه...».

«لن تتمكني من بيع القصر بدون هذا البيت التابع له».

«بلى يا ابنتي. بامكاننا ايضاً الاحتفاظ بالحديقة المحيطة به. كما وانه يطل على مناظر رائعة».

كل هذا صحيح. ولكن هل ستتمكنان من العيش قرب قصر العائلة عندما سيسكنه غرباء؟.

صعدت اليزون إلى غرفتها ولم تخبرها عن الشيء الاساسي الذي يشغل بالها كي لا تزيد من همومها.

ستقفل مدرسة القرية ابوابها في عيد الميلاد القادم، لان عدد التلاميذ ليس كافياً، وبذلك، تفقد اليزون عملها ايضاً. تنهدت واطفأت النور علها تستطيع النوم.

في صباح اليوم التالي. كانت الشمس تشرق في السماء. بينما كانت اليزون تراقب التلاميذ في الفرصة الصباحيه، لمحت نفس السيارة الزرقاء، تتوقف امام منزل

العجوز ماكبان وينزل منها رجل لكن قبل ان يدخل إلى منزل، نظر طويلاً نحو المدرسة. ادارت اليزون وجهها بسرعة وكأنه يراها. لم تحاول أن تترك العنان لخيالها. فاذا عاد احد أبناء ماكبان فهذا الخبر سيسري بسرعة في البلدة!.

مع انها لم تتبين ملامح الرجل، الا ان مشيته وطول قامته ببدوان مألوفين نظرت من جديد باتجاة المنزل الذي يسكنه فيرغوس ماكبان. وحده كان لديه اربعه ابناء، سافر اليسز وأيان إلى نيوزلندة بينما عمل دانكان ونيل في التجارة البحرية. دانكان ونيل... نيل الغامض والاكثر تهوراً من كل أفراد عائلته التي ومنذ مئه عام هي العدوة اللدودة لآل ماكاي. لا تزال اليزون تذكر جيداً هذا الابن المدلل لانه كان بنفس عمر شقيقها أليك.

منذ اجيال. من العام ١٨٦٩ تقريباً، كانت هاتين العائلتين مترابطتين جداً. لكن حصل ذات يوم ان أغرم هكتور ماكبان ودونالد ماكاي بامرأة واحدة لسؤ حظهما.

وكانت تلك المرأة تتلذذ بأغراء الرجلين بنفس الوقت وكي يحلا هذه المشكلة، اتجه الشابان نحو التلال، حيث لا يراهما احد. في الاسبوع التالي، ركض راع نحو القرية ليروي روايته المرعبة. كان قد قصد ذلك المكان بحثاً عن احدى نعاجه التي تسلقت التلال الصخرية الممتدة حتى البحر، كان شاهداً على عراك بين متنافسين تدحرجا اثناء عراكهما على الارض الجرداء وسقطا في الفراغ. عندما وصل الراعي الى حافة المنحدر، كان قد فات الاوان، ولم

يرَ في الاسفل سوى الامواج المزبدة.

منذ ذلك اليوم فرق كره وحقد كبيران بين هاتين العائلتين، بعض اهالي القرية يقولون بأن الغيرة ليست وحدها الدافع لهذا العداء، وان هناك مسألة تهريب كحول بطرق غير قانونية.

لم تعرف اليزون شيئاً عن حوادث تلك القصة، نشأت وعاشت في قصر آل روشبرين التي تملكه عائلة ماكاي منذ اجيال، اما العجوز ماكبان، فهو يعيش في منزل والده وجده الصغير، لان قصر عائلته الواقع قرب الروشبرين كان فريسة للنيران سنة ١٨٧٢، وهكذا فقد آل ماكبان قصرهم وثروتهم.

ارتعشت الفتاة عندما تذكرت هذه الاحداث المأساوية.

بعد انتهاء الفرصة عادت اليزون الى غرفة الصف منهارة، اهذا بسبب اقفال المدرسة الحتمي ام بسبب بيع القصر؟ احست بصداع قوي وانتظرت بفارغ الصبر ساعة الانصراف.

جلست في مكتبها قليلاً ورفعت نظرها نحو النافذة. هناك بجانب البحيرة يشمخ قصر الروشتبرين الذي لا يظهر سوى سقفه من بين الاشجار، هل ستجد الشجاعة على مغادرة منزل طفولتها؟ تساءلت بانقباض في قلبها بينما انهمرت الدموع على خديها، لامت نفسها على تصرفها الطفولي، اليست والدتها على صواب؟.

كيف تستمران في العيش بهذا المنزل الكبير الذي بات بحاجة لبعض الترميم؟ يجب اصلاح السقف، والسلم

الداخلي والاهتمام باشجار الحديقة وساحة الميدان...

تنهدت ومسحت دموعها امام المرآة الصغيرة التي خلف الباب، بسبب طبيعتها المتواضعة لم تكن اليزون واعية لجمالها، ولاشراق وجهها، كانت مميزة بفمها الرقيق وعيونها الخضراء التي تحيط بها رموش طويلة وتعلوها حواجب مقوسة، سرحت شعرها الاسود الطويل ثم خرجت من المدرسة بعد ان اختفى صداعها، واتجهت نحو متجر القرية الوحيد الذي هو عبارة عن دكان سمانة وصيدلية ومكتب بريد بنفس الوقت.

في اللحظة التي التفتت فيها لتسلم على احدى معارفها، اصطدمت برجل كان يخرج لتوه من المتجر، الصدمة قطعت انفاسها، للحظة امسكتها يدان قويتان منعتاها من السقوط. رفعت نظرها بدهشة وابتعدت بسرعة عن ذراعي المجهول... الذي لم يكن سوى نيل ماكبان، نيل الغامض الذي كان ينظر اليها نظرة غريبة... استعادت انفاسها ودخلت بسرعة الى المتجر.

«كنت اريد رسائل جوية، لو سمحت، سيدة فنليسون» سألتها بصوت لاهث، كانت لا تزال تشعر بحريق على كتفيها، هناك حيث وضع يديه، اذاً هو نيل الذي تكرهه اكثر من الآخرين، هو الذي عاد الى منزل والديه!.

«لن تحذري من خرج لتوه من هنا، آنسة ماكاي» قالت البائعة بمكر «انه نيل الابن المدلل لغيرغوس ماكبان».

«اعلم» اجابتها اليزون بجفاف.

«آه، كنت قد نسيت تماماً! منذ مدة طويلة، هجر ابناء

ماكبان المنطقة بينما هاجر اخوك اليك الى كندا، كنت اعتقد ان هذا النزاع القديم دُفن... طبعاً، هذه المسألة لا تعنيني، ستقولين لي...».

«انها قصة قديمة» قالت لها اليزون وهي تصطنع الضحك كي لا تثير شكوك البائعة» ثم دفعت الحساب وخرجت.

- ٢ -

كان نيل ماكبان قد اختفى، عادت الى القصر وهي تحاول ان تمحو من ذاكرتها آخر لقاء مهين لها مع هذا الرجل منذ تسعة اعوام خلت، كان عمرها ستة عشرة عاماً وقد سمحت لها والدتها بحضور حفلة راقصة في القرية على شرط ان تعود برفقة اخيها أليك الذي كان في الواحد والعشرين من عمره.

وكانت قد لاقت اعجاباً شديداً بين شبان القرية اسعدها كثيراً، كي يزداد فرحها، لمحت منذ وصولها نيل ماكبان واقفاً في زاوية الصالة يراقبها، لم يكن يبدو مرتاحاً ببذلته القديمة، وبدافع من غريزتها حاولت طوال الوقت لفت انظار الشبان اليها، ضحكاتها الساحرة وعيونها البراقة ادارت كل الرؤوس لدرجة ان احد مراقصيها حاول ان

www.elromancia.com

يسرق منها قبلة.

عندما حان موعد مغادرة السهرة اخيراً، بحثت اليزون عن شقيقها كي تعود معه كما كان متفقاً.

«ايمكنني مرافقتك، اليزون؟».

التفتت اليزون بسرعة ورأت في الظلام احد المراقصين الاكثر سحراً وتأنقاً، جوني كوردون.

«لا، شكراً» اجابته بتردد لانه كان مشهوراً بدونجوانيته «يجب ان التقي بأخي عند منعطف الطريق» كذبت لتتجنبه، ثم ابتعدت باتجاه القصر، اين هو أليك؟.

لماذا لم ينتظرها؟ لم تكن اليزون تخاف الظلام فهي للحقيقة تحب التنزه ليلاً، لكنها فجأة، احست انها ملاحقة، فأسرعت الخطى، بعد ان تسلقت جداراً حجرياً لتختصر الطريق، اخذت تركض تحت ضوء القمر، فجأة تسمرت مكانها، هناك من يتعارك خلفها... ثم سمعت سقطة، وصراخاً ثم خطوات متسارعة، اهذا أليك الذي اسرع لنجدتها؟.

«أليك؟» تمتمت دون ان تحصل على جوب.

فعادت الى الوراء ولكنها امام النهر، وجدت نفسها وجهاً لوجه امام نيل ماكبان عدوها اللدود، كان يفرك يديه، وكان من عادته ان يتخاصم كثيراً مع أليك لهذا اسرعت الفتاة نحوه وهي تصرخ بحدة.

«ماذا فعلت بأخي؟».

رماها بنظرة قاسية، انه ليس نفس الرجل فكرت للحظة، ففي الحفلة كان يبدو مضطرباً، اما في الغابة فهو يبدو واثقاً

جداً من نفسه.

«الذي هرب على الفور، لم يكن اخاك» قال باحتقار «لكنه جوني كوردون».

«لا اصدق» ولاحظت عندئذ الدماء على ذقنه.

«بالنظر الى تصرفاتك في الحفلة، لست مندهشاً ابداً اذا كان هو الوحيد الذي تبعك».

«ماذا تقصد؟» واحمر وجهها بسرعة.

«بالنسبة لسنك، كان يجب ان تفهمي».

«كيف تجرؤ على الكلام معي بهذه اللهجة؟ لو كان أليك بجانبي لكان لقنك درساً مناسباً...».

«لم يكن ليستطيع انا لا اخاف منه ولا من غيره! لو رأيت حالة جوني وهو يهرب...».

«انت لا تفكر سوى بالعراك» صرخت غاضبة «تقضي كل وقتك في القتال».

«لا، ليس كل وقتي...» ثم ابتسم وداعب خدها بيده.

ازداد غضبها ودفعته عنها بعنف.

«لا تلمسني، اياك ان تفعل ذلك من جديد».

«لكنك في الحفلة، لم تعترضي على ما يفعله الآخرون، حتى انك كنت تبدين مسرورة بذلك».

وبسرعة ضمها اليه ودون ان يترك لها مجالاً للتصرف، طبع على شفتيها قبلة حارقة.

لشدة ذهولها وعمق ارتباكها صفعته اليزون بقوة، ولكن في اللحظة التي حاولت فيها الهرب، أمسك نيل ذراعها، اخذت ترتجف وتذكرت ميله للعنف.

www.elromancia.com

«لا داع للخوف» طمأنها بابتسامة ساخرة «لم يسبق لي ان ضربت امرأة، من ناحية اخرى، لا احب ان يصفعني احد».

«دعني» صرخت من جديد «ولكن... انت... كنت تتبعني».

«نعم ولا، للحقيقة كنت متجهاً بهذا الاتجاه» شرح وهو يتركها «كنت اريد ان احصل على بعض الاسماك».

لم تتحمل نظراته، فادارت وجهها واحست بكره كبير نحوه، اولاً لانها تدين له بانقاذها، ثانياً لانه قبلها بوحشية هذه هي قبلتها الاولى... والاسوء انها خالية من اي حنان او رقة.

«هذه تعتبر سرقة فالغابة هذه ملك لنا».

انفجر نيل ضاحكاً.

«حسناً آنسة ماكاي، هذه ليست المرة الاولى التي اصطاد فيها في هذا النهر... ولن تكون الاخيرة، جئت مئات المرات ولم يرني لا اخوك أليك ولا البستاني».

«لكنني سأخبرهما! وستذهب انت الى السجن».

«افعلي، ارجوك، وستكونين سخرية للجميع لانه ليس لديك اي دليل».

«سأردد امام الشرطة كل ما قلته لي».

«سيسألونني عن سبب جرح ذقني وسأخبرهم بكل ما حصل» وابتسم بسخرية.

شدت الفتاة على قبضتي يديها، هذا الشاب الكريه لديه جواب لكل شيء، لم تضيع وقتها معه فحسب، بل جلعها

تبدو سخيفة.

«بما اني ادين لك لانك اسرعت لنجدتي، سأسمح لك باصطياد اسماكك ثمناً لمساعدتك لي، ولكن فيما بعد ستسرع بالفرار».

هذه الكلمات جرحت الشاب في الصميم.

«من المؤسف انه لا يوجد احد مستعد لقفل فمك».

«اتعتقد انه سيكون انت؟ دعني اضحك».

وابتعدت متابعة طريقها.

«نعم، سأفكر بذلك... سنرى ذات يوم».

ركضت اليزون حتى المنزل وهي تلهث، لكنها لم تخبر احداً بما حصل، ولا حتى أليك الذي كان مشغولاً مع فتاة اخرى خلف صالة الرقص وقد نسي وعده لها بمرافقتها.

عضت اليزون على شفتيها وهي تتذكر كلمات نيل الاخيرة، بدون شك، نطق بها تعبيراً عن غضبه فقط لانه بعد ثلاثة اشهر بالتحديد هجر البلاد ولم تره ابداً.

اي فرق بين المراهق النحيف، وبين الرجل الذي التقت به منذ قليل امام المتجر! بقامته الممتلئة وبشرته التي اكتسبت السمرة وملامحه الناضجة اصبح وسيماً فاتناً. عيونه... ابداً لن تنسى اليزون نظراته التي رماها بها للحظة اليوم. عيونه تغيرت اصبحت تشع بتعبير مربك اقلق الفتاة وجعلها تسرع بالهرب الى داخل المتجر.

ماذا ستكون ردة فعل جسي عندما تعلم بعودة نيل ماكبان الى البلدة؟.

لم تتمكن من نقل النبأ اليها، لانها ما إن عبرت الباب

www.elromancia.com

حتى رأت والدتها تنزل السلم بسرعة لاستقبالها. كانت الوالدة تبدو في قمة الانفعال.

«اتصل بي جون ستيورات منذ قليل. الرجل الذي يريد شراء القصر سيزورنا غداً».

انقبض قلب الفتاة وهي تراقب والدتها.

«امي... انت تخفي عني شيئاً؟».

«اوه... ايه... لا، انت مخطئه، يا عزيزتي».

لكن وجه السيدة ماكاي كان شاحباً.

«ماذا حصل؟» الحت الفتاة «هل غيرت رأيك؟».

«لا، لا... لكني اشعر بالصداع. هذا كل ما في الامر».

ثم صعدت السلم من جديد بسرعة.

لماذا هي متوترة بهذا الشكل؟.

في صباح اليوم التالي، بعد ليلة طويلة من الكوابيس، ارتدت اليزون ملابسها بمزاج سيء لان هذا النهار لا ينبيء بشيء حسن...

سيأتي الشاري الجديد في الساعة العاشرة. في الساعة التاسعة، اكتفت بفنجان قهوة وخرجت لتتنزه بوبي في البستان.

عبرت البستان ثم استدارت ووقفت تتأمل القصر من بعيد. اذا لم تحدث معجزة، ستضطر للرحيل عن المنزل الذي ابصرت النور فيه. تابعت نزهتها بحزن في الغابة واتجهت نحو النهر الذي تتلألأ مياهه تحت اشعة الشمس، دق قلبها بسرعة عندما وصلت الى المكان الذي ترك في

نفسها منذ تسعة اعوام ذكرى لن تنساها ابداً...

توقفت في مكانها مرعوبة مذهولة ورفعت يدها الى فمها عندما رأت رجلا يتأمل مجرى الماء مفكرا. التقت الرجل ببطء ونظر الى الفتاة وكأنه طوال هذه السنوات كلها كان لا يزال ينتظرها. انه نيل ماكبان.

«ماذا تفعل هنا؟» سألته كردة فعل اولى وكأنها تطلب منه مغادرة ممتلكاتهم.

«انظر حولي وافكر» اجابها بهدوء.

اين هو اذاً ذلك المراهق العنيف المستعد دائماً للعراك؟ كيف يمكنها المحافظة على برودة دمها امام هذا الرجل الذي يتأملها من رأسها حتى اخمص قدميها؟.

«ارى بانك دائماً تجد لذة بالدخول الى املاك خاصة بدون اذن!».

«انت مخطئه... آنسه ماكاي» اجابها بسخرية.

«لقد تلقيت دعوة».

«هذا ليس صحيحاً! انا لم...».

«ليس انت، لا، ولكن والدتك. الم تخبرك؟».

«لا! انا... انا... اتكون انت من يبغي بشراء روشبرين؟» اضافت وهي تحاول جاهدة ان تتمالك نفسها.

«نعم. جئت قبل الموعد كي استغل الفرصة وازور البستان هذا يجنبك أن تريني اياه».

«انت تعرف كل زاوية فيه، انا متأكدة من ذلك» اجابته بتوتر امام نظرات السخرية في عيونه.

لهذا السبب كانت والدتها مضطربة بالامس. كانت

بدون ادنى شك تتوقع ردة فعلها. نظرت بغضب الى الكلب بوبي الذي اسرع يلمس يدي نيل. داعب نيل رأس الكلب فسر هذا الاخير كثيراً وحرك ذنبه بمرح.

«بوبي، تعال الى هنا!» امرته بحدة.

رفع نيل رأسه بابتسامة ساخرة. لم يعد بامكان اليزون تحمل المزيد، فإبتعدت بإتجاه المنزل. لكنها سمعت خطوات خلفها ثم صوتاً يناديها.

«اصبحت الساعة العاشرة، سأرافقك الى القصر».

- ٣ -

كان وقع هذه الجملة كالصاعقة على قلبها، فالتفتت نحوه وقالت:

«كفاك مزاحاً. الان، ارجوك أن ترحل. افضل الموت على رؤيتك تشتري روشبرين!».

تحولت نظرات نيل الى سكين فولاذي، لكنه اجابها بهدوء خطير.

«هذا القرار يعود لوالدتك».

تحملت نظراته وقالت باحتقار:

«والدتي تريد ان تبيع المنزل لا ان تهبه! تريد مالا! اوه، عفواً، اعذرني، كنت قد نسيت... ربما انت لا تعرف معنى هذا!».

شحب لون نيل تحت هذه الاهانة، بينما اضافت اليزون

www.elromancia.com

«لا ضرورة لاضاعة وقتنا. انت لا تريد سوى الشماتة بنا!».

«للعلم فقط، انا املك مبلغاً كافياً لشراء قصر الروشبرين... وكافياً لترميمه ايضاً، سمعت أنه مهمل منذ سنوات طويلة. كان بامكان اعتراضاتك ان تكون افضل لو انك اهتميت بترميم منزلك!».

احست اليزون بانه كان يجب عليها ان تتمالك نفسها امام هذا الرجل العنيف. اخذت نفساً عميقاً قبل ان تسأله:

«اذا كان القصر بهذه الحاله، فلأي سبب تريد شراءه؟».

«كنت دائماً احلم بامتلاكه قبل رحيلي كنت قد اخذت قراراً بجمع ثروة كبيرة تسمح لي بشراءه عندما يعرض للبيع. لست مليونيراً، لكنني مرتاح مادياً... وبما ان منزلك معروض للبيع، اخترت شراءه».

«و... اذا رفضت والدتي التخلي عنه؟» سألته بتحد.

«لماذا ترجع عن قرارها، طالما انكم لا تملكون امكانية اعادة تأهيله؟».

«قد لا ترغب بك انت كشار».

«بامكانكم ان تبحثوا عن زبون آخر، لكنكم لن تجدوا واحداً. عندما لا يملك المرء فلساً واحداً. آنسه ماكاي، لا يمكنه السماح لفمه بكثرة الكلام».

«كيف تجرؤ!» صرخت بغضب شديد.

«انا بحاجة للكثير حتى اصل الى وقاحتك!».

خافت اليزون من انفجار غضبه فتابعت سيرها.

«هيا بوبي!».

عندما اجتازت البستان، لم تستطع مقاومة رغبتها في الالتفات الى الخلف. كان نيل لا يزال واقفاً يراقبها...

«ما العمل، جسي؟» سألتها اليزون متوسلة في المطبخ.

«ليس امام والدتك المسكينة خياراً آخر. يجب ان تكوني بجانبها في هذا الوقت لا ان تبقي في المطبخ».

«لا استطيع! لا اريد ان اوجه الكلام الى هذا الرجل، ولا ان اشرب معه القهوة».

«لقد ورثت كل طباع آل ماكاي» اجابتها جسي بمكر.

«اعترفي بان ماكبان رجل وسيم».

«رجل وسيم؟ انه فظيع! اجده كريها!».

«انا متأكدة انه حطم قلوباً كثيرة اثناء جولته حول العالم».

«جسي... برأيك. كيف استطاع ان يجمع المال الكافي لشراء روشبرين؟ الم يعمل في التجارة البحرية؟».

«بلى. لكني لا اعرف مصدر ثروته. فالعجوز ماكبان لا يتكلم بشيء عن ابنائه».

رن جرس في هذه اللحظة.

«انه لك، يا ابنتي. والدتك قالت بانها ستقرع الجرس اذا احتاجت لك».

نهضت الفتاة رغماً عنها وغادرت المطبخ. عبرت البهو وفتحت باب الصالون. كانت السيدة ماكاي جالسة امام المدفأة. كم تبدو نحيلة فجأة! فكرت اليزون بحزن والتفتت

www.elromancia.com

نحو الزائر الذي يقف امام النافذة. التقت نظراتهما بعدوانية ظاهرة.

«اليزون، يا ابنتي» قالت السيدة ماكاي وهي تمسك يد ابنتها بضعف.

«ايمكنك ان ترافقي السيد ماكبان في جولة في المنزل والبستان...».

«امي...» قاطعتها اليزون بحزم.

«لو سمحت، اليزون» الحت الوالدة وهي تضغط على يدها.

«حسناً. الآن؟» اضافت موجهة السؤال للزائر.

«اذا كان هذا لا يزعجك. سيدة ماكاي» اجاب متجاهلاً وجود اليزون.

«ابداً، على العكس» قالت له مضيفته بإبتسامة زادت من قلق الفتاة:

«امي... هل كل شيء على ما يرام؟».

«اطمئني، يا عزيزتي. انا بحاجة للتفكير، هذا كل شيء».

بأي موضوع؟ تساءلت اليزون قبل ان تلتفت نحو نيل ماكبان.

«ايمكنك انتظاري في البهو، ارجوك؟».

غادر نيل الصالون واغلق الباب وراءه. جلست اليزون على ركبتها امام والدتها.

«قولي لي، امي... هل ازعجك؟ هل حاول ارغامك على تخفيض السعر؟».

«لا يا عزيزتي. ماكبان اظهر كل لطف وذوق. اريد فقط ان افكر ببعض التفاصيل قليلاً، سأكلمك لاحقاً، اعدك بذلك. اليزون، ارجوك. من اجلي. حاولي اخفاء عدم استلطافك لهذا الرجل».

«اطلبي مني ايضاً ان امسك بيده اثناء جولته في المنزل!» قالت اليزون بحدة.

«لا تبالغي، يا عزيزتي» هدأتها والدتها بابتسامة لطيفة.

«اطلب منك فقط ان تكوني مهذبة معه. انه ليس غولاً. انت تعلمين».

لا انه مخيف اكثر.

«اعدك بالمحاولة، يا امي... اتعتقدين... انه سيشتريه؟».

«انا متأكدة من ذلك. آسفة. يا ابنتي. لكن سيكون من قلة الحذر المخاطرة برفض عرضه».

اثناء مرافقة نيل، لاحظت اليزون فقط للمرة الاولى حالة المنزل التعيسة. وشعرت بالخجل عندما لاحظت ان نيل لم يفته شيء من ذلك. كان يتفحص النوافذ والجدران بدقة ويسجل ملاحظات على دفتر صغير.

لشدة ارتباكها. لم تنطق الفتاة بأية كلمة اثناء جولتهما في الغرف الواسعة التي لم تكن سوى انعكاساً شاحباً لروعة الماضي.

عند اسفل السلم المؤدي الى تسقيفة المنزل توقفت وسألته:

«اترغب برؤية العلية؟».

www.elromancia.com

«اذا كان هذا لا يزعجك» اجابها بنفس الجفاف.

ارتعشت اليزون. ما نفع المحاولة؟ فكرت وقد لاحظت ملامحه الحازمة. الم يربح الجولة؟ في غرف العلية، كانت تتكدس علب وصناديق وصحف وكتب قديمة. يجب ان ترمي كلها، فكرت اليزون بحزن حتى الحصان الخشبي الذي اسعد اجيالاً كثيرة من الاطفال. لم يبال نيل بكل هذه الفوضى، وقفز فوق بضعة صناديق حتى وصل الى النوافذ.

«هذا يفي تماماً بالغرض» قال برضى.

ماذا يقصد؟ لا احد يحتاج الى مثل هذه العلية المؤلفة من عدة غرف واسعة الا اذا كان لديه الكثير من الاولاد والخدم. يبدو نيل ماكبان غامضاً.

بعد ذلك الشرفة الزجاجية حيث تنبت في احواضها نباتات السيكلمان(بخور مريم) والصبار...

«نباتات رائعة. من يهتم بها؟».

«انا» اجابته باحتقار «والآن. سأريك المشغل من هنا، لو سمحت».

وفتحت باباً يؤدي الى غرفة واسعة منيرة تتكدس اللوحات على جدرانها وارضها، توقف نيل طويلاً امام اللوحات لدرجة ان اليزون رغبت في قطع تأملاته وازعاجه.

بعد دقائق. التفت نحوها.

«والان، لو نزور البستان؟».

«انت تعرفه جيداً» اجابته بجفاف رغم جهودها في ان

تظهر ادباً نحو الرجل الذي ارهقها.

«ليس جيداً، لانني كنت آتي في الليل» قال بسخرية.

«اريد ايضاً ان ازور المستودعات وكنيسة القصر».

«لكن هذا المصلى لم يستعمل منذ سنوات...» من الواضح انه لا يفعل الا ما في رأسه.

بعد نصف ساعة، عادا الى القصر. وكانت الفتاة متعبة لدرجة انها تعثرت امام العتبة. لكن رفيقها امسك ذراعها وجنبها السقوط. هذه الحركة احرقت ذراعها. فابتعدت بسرعة.

«اشكرك».

«عفواً» اجابها بابتسامته الساخرة.

احمر وجهها، كرهها لهذا الرجل مبادل، تعرف ذلك. الا يزال يذكر لقائهما في الغابة بعد حفلة الرقص منذ تسعة اعوام؟ الا يزال يذكر انه اعلن بشدة رغبته في اقفال فمها؟.

التقت نظراتهما للحظات، وقرأت في نظراته الفولاذية غضباً مكبوتاً جعلها ترتعش خوفاً.

اذا كان قد عاد لينتقم منها، فلقد اختار وسيلة قاسية جداً، لانها لن تتمكن ابداً من نسيان الرجل الذي حرمها من منزل جدودها.

ما ان دخلا الصالون حيث كانت السيدة ماكاي تنتظرهما، حتى تفاجأت اليزون بنظرات غريبة بين والدتها ونيل.

«هل اخبرتها؟».

www.elromancia.com

سألته سيدة المنزل.

«لا سيدتي. فضلت ان تعلم منك انت».

«عما تتكلمان؟» سألتها الفتاة وقلبها يدق بسرعة.

«لحظة، يا عزيزتي... السيد ماكبان يريد ان يحول روشبرين الى فندق».

«اوه، لا!» واغمضت عينيها. لا يمكنها ان تتصور منزل عائلتها يحتله غرباء.

«لا، يا امي، لا يحق لك!».

- ٤ -

وتمنت لو كانت صبياً! لكانت حطمت وجه هذا الدخيل! اضافت وهي ترتجف.

«انا امنعك من بيع المنزل له! سنجد شارٍ آخر...».

خرق شعاع من الشفقة عيني نيل الفولاذية لكنه استعاد شخصيته الحقيقية وقال.

«بامكاني الانسحاب اذا كنتما ترغبان بالنقاش».

«اجلس ارجوك» اعترضت الوالدة.

«اما انت، يا عزيزتي، فاهدأي، ارجوك».

جلست الفتاة وحبست دموعها، يبدو ان والدتها فكرت جيداً بقرارها اثناء بقائها وحدها.

جلس نيل على كنبة، فأسرع بوبي وتمدد تحت قدميه، فقال نيل وهو يداعب رأس الكلب.

www.elromancia.com

«لنتكلم عن مسكنكم الجديد. لقد كلمتني عن منزل يقع في آخرالبستان».

«هذا صحيح. سنفتح له باباً من جهة الطريق».

اجابته السيدة ماكاي.

«كما تشائين، سيدتي، لكن لا اجد مانعاً من استعمالكم البستان. كما واني أصر على متابعة عملك في المشغل».

«انت... انت لطيف جداً» اجابته الوالدة بدهشة.

«هل انت متأكد من...».

«بالتأكيد. بامكاننا ايضاً ان نفتح لمرسمك باباً من الشرفة كي لا يزعجك نزلاء الفندق».

«اكون ممتنة لك جداً. للحقيقة، لن يكون لدي مكان للرسم في منزلنا الجديد...».

«بالمناسبة، سيدتي. متى يمكنني رؤية الجزيرة؟».

«ماذا، امي! تريدين ان تبيعه الجزيرة ايضاً» سألتها الفتاة بذهول.

«انها تابعة للقصر، وانت تعلمين ذلك جيداً على كل حال، ماذا سنفعل بها؟».

«انا اذهب اليها دائماً. كما وانك تحبين ان ترسمي هناك...».

«لن يعترض السيد ماكبان بالتأكيد على ذهابنا اليها، يا عزيزتي».

«طبعاً، سيدتي» قال نيل مبتسماً.

«ربما استطيع اصلاح المنزل الصغير الموجود فيها...»

اضاف وهو ينظر الى اليزون بسخرية.

«ان اؤجره لازواج يقضون شهر العسل...».

«فكرة رائعة! ستصطحبك ابنتي بعد الظهر».

«انه يعرف الطريق، اليس كذلك، ايها السيد؟» سألته اليزون بجفاف مع انها تعلم ان هذا يعتبر قلة تهذيب من ناحيتها.

«افضل ان ترافقيني» اجابها بهدوء «لا اريد ان افسد مركبك».

«حسناً. سأرافقك» قبلت الفتاة امام نظرات اللوم في عيني والدتها.

«والان اعذرني» اسرعت الى المطبخ لتشكوهما لجسي. يبدو ان والدتها تقف الى جانب عدوها!.

بعد الظهر، جلست اليزون في مقدمة المركب الصغير تنظر الى منزل العائلة يختفي تدريجياً في البعيد. وكان نيل ماكبان قد عاد بعد الغداء وقد اعترفت بانه اجمل رجل عرفته لانه بالفعل كان وسيماً وجذاباً.

بعد قليل من الوقت، وصلا الى الجزيرة الصغيرة في مساحتها والمغطاة، بالاشجار والاعشاب قطعت اليزون المحرك ونزلت الى الارض. فساعدها نيل بربط حبل المركب. لم يكن يسمع في هذا المكان سوى زقزقة العصافير.

«يا له من مكان رائع!» قال نيل بإعجاب.

«ماذا ترغب ان ترى اولاً؟».

«المنزل الصغير».

www.elromancia.com

«حسناً كما تشاء».

«ايمكنني مساعدتك في تسلق الصخور؟».

«انا كبيرة، ولست بحاجة لمساعدتك» اجابته دون ان تحاول اخفاء حقدها.

«اسمعي، لا تعتقدي انك بتصرفك الطفولي هذا ستجعلينني اعود عن قراري بشراء روشبرين بل على العكس، كلما كنت فظة معي، كلما ازدت اصراراً».

«انك اتخذت قرارك منذ عدة سنوات. للحقيقة، بشرائك روشبرين انت لا تبحث الا سوى عن الانتقام!».

«عما تتكلمين؟».

«لا تتظاهر بالبراءة. ان ذاكرتي جيدة».

«اوضحي اكثر، ارجوك».

ذكرته الفتاة بكلماته الاخيرة التى قالها في الغابة قبل تسعة اعوام.

«اتعتقدين ان بعض الكلمات التي تلفظت بها بساعة غضب تدفعني لتغيير مجرى حياتي؟ يبدو انك اكثر غباءً مما كنت اعتقد!».

زاد غضب اليزون وتابعت تسلق الصخور. هذا الرجل الذي كان متعجرفاً واثقاً جداً من نفسه، اصبح انيقاً وثرياً. . . . نجح في كسب اعجاب والدتها و. . . بوبي ايضاً. وقد يكسب محبة جسي ايضاً. . . يبقى امامها «ميغ» صديقتها الحميمة التى تقيم في انفرنبس، لكنها هل ستفهم مشاعرها نحو نيل والنزاع الذي فرق العائلتين؟ لا احد يفهم مشاعرها الا شقيقها اليك. لكنه يعيش في كندا

مع زوجته واولاده الثلاثة ولا يستطيع مساعدتها الان. . .

بينما هي تحاول البحث عن فجوة تضع قدمها فيها، تحرك حجر تحتها. فالتفت على الفور لتحذر رفيقها، لكن كان قد فات الاوان، ووقع حجر على يده وسال منها الدم.

عندما وصلت الى الاعلى، مدت يدها لتساعده على تسلق الامتار الاخيرة، لكنه رفض مساعدتها ووصل الى مستواها وهناك تناول منديله وربط الجرح.

انا آسفة، لم افعل ذلك عمداً.

«اقسم انك تعمدت ذلك» ثم ودون ان يضيف اية كلمة. اتجه نحو المنزل الذي لا يظهر سوى سقفه من بين الاشجار. تبعته اليزون وهي آسفة جداً لانها جرحته دون قصد.

«كان ذلك حادثاً، اؤكد لك، كيف يمكنك ان تتصور انني. . . ».

«انت تتسلقين هذه الصخور منذ طفولتك» قاطعها بحدة.

«وتعلمين بأن هذه الحجارة تتحرك في اماكنها بسهولة ولكنك تجاهلت الحذر الضروري وتسلقت بسرعة كطفلة في الخامسة فقط».

«بما انك ذكي لهذه الدرجة، لماذا لم تنتظر حتى اصل الى القمة قبل ان تتسلق بدورك؟».

«برؤيتك بهذا الطيش، خشيت ان تقعي. ولهذا فضلت اللحاق بك عن قرب».

«الم تكن لتفرح لو سقطت انا في الفراغ؟» سألته

بسخرية.

«لا انوي الحاق الاذى بك، لكنني اريد فقط شراء منزلكم» اجابها بهدوء يثير القلق، وشحب وجهه فجأة اهذا بسبب الالم ام الغضب؟».

«اتفضل ان تؤجل زيارتك للجزيرة للغد؟».

«لا ضرورة لذلك» واتجه نحو المنزل الحجري دار حوله ببطء قبل ان يدخله.

www.elromancia.com
مـــرجـــوعـــيـــة

- ٥ -

ظلت ايزون تنتظره في الخارج. لا جدوى من محاولة مقاومة هذا الرجل. كما وان عملية بيع المنزل ضرورية. والدتها لم تكن تملك ما يكفي لترميمه، ابزون تفضل ان يتحول القصر العزيز الى فندق على ان تراه ينهار امام عينيها. على كل حال، بعد ان ينتهي من اعمال الترميم، سيعين نيل ماكبان مديرا آخر على الفندق، لانه بحار، والجميع يعلم ان رجال البحر يصعب عليهم الاستقرار في مكان واحد على اليابسة. وهكذا، قد تتمكن اخيرا من نسيانه.

«اريد ان استكشف النواحي. هل سترافقينني؟».

وافقت بإشارة من رأسها. بدون شك، ستكون هذه آخر مرة تتنزه فيها على جزيرتها الغالية...

تبعت نيل في المنحدر الواقع في الجهة الاخرى. كم تغير هذا الرجل! ما نفع محاولة الانكار؟ الا يمتزج كرهها له في الحقيقة مع بعض الاعجاب بحريته الفكرية وشجاعته؟ فهو لا يحرمها فقط من منزل اجدادها، بل يحرمها ايضا من هذه الجزيرة التي قضت فيها اجمل ايام طفولتها ومراهقتها. لن يبقى لها سوى المنزل الصغير الذي كان يسكنه البستاني وعائلته في الماضي. والمشغل، بالتأكيد.

«لماذا سمحت لوالدتي بالاحتفاظ بمرسمها؟» سألته فجأة.

كان نيل يضع منظاراً على عينيه ويتأمل الجبال البعيدة على اليابسة، تردد لحظة ثم ابعد المنظار والتفت نحوها؟.

«لماذا انت عدائية هكذا في علاقاتك مع الناس؟ اتعتبرين اللطف شيئاً غريباً لهذه الدرجة؟».

«لا اعتقد انك لطيف لهذه الدرجة. لكنك لم تجب على سؤالي».

اعاد نيل المنظار فوق عينيه.

«لماذا يجب ان يكون لدي سبب لاترك والدتك تستعمل المرسم؟» ثم ناولها المنظار.

«اتريدين ان تلقي نظرة؟».

«لا ، شكراً، انا بانتظار جوابك».

«حسناً، بما ان والدتك كانت تملك مهنة الديكور الداخلي. احب ان اعهد اليها بديكور فندقي».

ضحكت ايزون بسخرية.

«ابداً لن تقبل والدتي مساعدتك بهذا الامر!».

«حقاً؟ ولماذا سترفض؟».

«لانها تشاركني مشاعري. بعد بيع المنزل، لن توجه لك الكلام ابداً: عندما سأخبرها سيثور غضبها حتماً».

«هذا سيدهشني». اجابها بابتسامة ساخرة.

«لانني قبل ان اعرض عليها الاحتفاظ بمرسمها، طلبت منها الاهتمام بديكور الفندق، ووافقت والدتك، آنسة ماكاي تعمل من الآن وصاعداً عندي».

لأول مرة منذ سنوات طويلة، اجهشت ايزون بالبكاء في سريرها حتى ارهقها. رغم اعداء عائلتها، وهي تشعر الآن بأنها حبيسة في شباك العنكبوت.

وكانت بعد الظهر تركته يكمل جولته في الجزيرة وحده وانتظرته امام المركب. وما ان وطأت قدماها اليابسة حتى ركضت الى القصر ولجأت الى غرفتها.

توجهت في الصباح الى المدرسة دون ان ترى والدتها. وعندما عادت في فرصة الظهر، وجدت سيارة متوقفة امام القصر. نزل منها نيل ماكبان وفتح الباب ليسمح لوالدتها بالنزول.

«جئت اليوم في فرصة الظهر؟» سألتها والدتها مبتسمة ثم التفتت نحو نيل، «اترغب بتناول الغداء معنا سيد ماكبان؟».

«لا، شكراً يجب ان اذهب الى انغرنيس على الفور، لن اعود قبل يوم الخميس. اتسمحين لي بزيارتك لدى عودتي؟».

www.elromancia.com

«بكل سرور. الى اللقاء سيد ماكبان».

صعدت ايزون السلم بسرعة، بعد لحظات تبعتها والدتها.

«انت غير مهذبة دائماً مع السيد ماكبان، لماذا، يا ابنتي؟».

«هذا الرجل يسلبنا منزلنا وجزيرتنا... وانت تلومينني؟... والاسوأ من ذلك انك ستعملين معه... هو قال لي ذلك! اوه، امي لماذا؟».

«انا آسفة، لكن لا يمكننا رفض عرض مماثل».

«ليس الوضع ميؤساً منه لهذه الدرجة. الن نكون مرتاحين مادياً بعد البيع؟».

«انت لا تفهمين. انا ايضاً احب رونشبرين. وساكون سعيدة جداً اذا بفضل عملي نجحت في اعادة الحياة لهذا المنزل. حتى ولو كان غرباء هم الذين سيتمتعون به. السيد ماكبان غني جداً وعرض علي القيام بترميم القصر. لماذا اترك غريباً يختار الوان جدرانه وقماش اثاثه بينما انا اعرف هذا المكان جيداً واعرف ما يناسبه وما لا يناسبه؟».

«افهمك، امي، ولكني من جهة اخرى، اشعر بأنه يغتصب حقوقنا وحياتنا».

«انت مخطئة يا ابنتي! فالسيد ماكبان ليس رجلاً شريراً. على العكس، لديه شيء لا اعرف ما هو... لكنه رجل فاتن... بالمناسبة، ذهبنا هذا الصباح الى مكتب المحامي. بعد ثلاثة اسابيع على الاكثر، سنوقع عقد البيع».

«اذاً يجب علينا مغادرة القصر». تمتمت ايزون.

«سيكون الامر صعباً في البداية، لكننا ستتأقلم مع الوقت. والآن لنرى ماذا اعدت لنا جسي من طعام كي لا تتأخري على المدرسة».

يوم الخميس عندما عادت ايزون من المدرسة وجدت في المنزل موظفاً من دار البلدية يأخذ مساحة المنزل، فسألته بدافع الفضول ان يريها رخصة البناء. اكتشفت ان روشبرين لن يتعرض لتغيرات مهمة خاصة من الخارج.

بعد ذهاب الموظف، انضمت الفتاة الى والدتها في مرسمها.

«اذاً القصر لن يتغير كثيراً... الحمد لله!».

«امي، لم يفت الاوان بعد اذا كنت ترغبين بتغيير رأيك».

«اتكرهين السيد نيل لهذه الدرجة؟».

«انا لا اطيقه».

«لم يسبق لي ان رأيته هكذا من قبل، يا عزيزتي. كنت اظنك اكثر ذكاءً وقدرة على التغلب على هذا النزاع القديم بين العائلتين. قولي لي، لماذا كل هذا الكره؟».

نعم، لماذا تشعر بهذا الكره نحو نيل ماكبان؟ لماذا تخشى هذا السؤال وتخشى اختراق قلبها ومعرفة اعمق مشاعرها؟.

«لست ادري، يا امي. ربما بسبب كره اليك له، هو فقط يتمكن من التغلب عليه في العراك. اما انا، فلا استطيع».

«لا تستفزينه، يا ابنتي».

«اهذا تحذير؟» سألتها ايزون بخوف.

ابتسمت والدتها بمحبة وهزت رأسها ببطء.

«بل هي نصيحة، يا عزيزتي، لانني لا اريد ان اراك تتعذبين. بامكان امثال نيل ماكبان ان يكونوا احياناً بدون رحمة. تحت مظهره الهادىء يملك ارادة فولاذية. لاحظت ذلك منذ لقائنا الاول. كما وان لديه ملامح تدل على حيوية مدهشة بالنسبة لرجل في مثل سنه. احب ان ارسم له لوحة ذات يوم».

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

- ٦ -

في هذه اللحظة رن جرس الباب. ما ان وصلت ايزون الى البهو حتى كان نيل يدخل.

«سأعلم السيدة». قالت جسي.

«دعي عنك، جسي». قالت ايزون والتفتت نحو الزائر.

«لو سمحت اتبعني سيد ماكبان. سأقودك الى والدتي».

تقدمته الى المرسم وهي تقاوم رغبة قوية في صفع هذا الرجل الذي ولسبب غامض، وجوده يرهقها وكأنها تركض لاهثة.

«تفضل، ارجوك». قالت وهي تفتح له باب المرسم.

تحمل نظراتها للحظة، ثم شكرها ودخل. لكنها لم تدخل معه، بل لجأت الى غرفتها.

في المساء، قالت لها والدتها اثناء تناول العشاء:

«السيد ماكبان يرغب بأخذ مقاسات جديدة يوم السبت كي يبدأ بشراء ادوات العمل».

«لا تقولي لي انك وافقت!» صرخت ايزون.

«هذا امر طبيعي، يا عزيزتي... لماذا لا تتصلين بصديقتك ميغ؟ منذ مدة طويلة لم تريها مع انها دعتك مرات عديدة لزيارتها، بامكانك ان تقضي عطلة نهاية الاسبوع عندها هذا سيريح اعصابك».

«سأتصل بها على الفور». اجابتها الفتاة بحدة.

اتصلت ايزون بصديقتها وقبلت دعوتها لقضاء الاجازة عندها. واخيراً، بامكانها ان تفتح قلبها لصديقتها المتفهمة.

«ولكن ايزون، هذا الرجل فظيع!» صرخت ميغ عندما روت لها صديقتها كل شيء من الالف حتى الياء.

«لكنك ربما تبالغين!».

ضحكت ايزون بمرح. كم هو جميل ان يضحك المرء! كانت الساعة قد اقتربت من منتصف الليل والصديقتان لا تزالان جالستين في الصالون امام نار المدفأة. في احد غرف الطابق العلوي، كان ينام ابنا ميغ التوأمان البالغان الثالثة من عمرهما. اما زوجها فكان قد انسحب بلطف الى غرفة المكتب ليسمح للصديقتين بالثرثرة بحرية تامة.

تساءلت ايزون اذا لم تكن بالفعل قد ضخمت الوضع اظهرت نيل ماكبان كرجل شيطاني.

كانت الصديقتان قد درستا معاً في مدرسة ارنبورغ الوطنية، ثم انتقلت ميغ للتعليم في دنغويل بينما حصلت

ايزون على وظيفة معلمة في شيلبيغ، قبل ان يمضي عام واحد على عمل ميغ في دنغويل، تعرفت على بيل غراهام استاذ الفيزياء وتزوجا بعد ستة اشهر فقط. ولم تنقطع العلاقة بين الصديقتين، حتى ان آل غراهام كثيراً ما قضوا اجازة نهاية الاسبوع في روشبرين.

«ماكبان... هذا الاسم يذكرني بشيء»، قالت ميغ.

«آه، اليس هو نفس الشخص الذي رويت لي عنه نكتة جارحة ذات يوم؟ حصل ذلك بعد حفلة راقصة... كان قد تعارك مع احدهم على ما اعتقد...».

«انه هو، كان قد حصل على نزاع كبير بين عائلتينا في الماضي انت تفهمين الآن سبب...».

«بصراحة، لا اجد علاقة لهذا بموضوعنا. انسيت كم حدثتني عنه؟ برأيي، هذا يبدو رومنسياً! نعم، نعم العدو اللدود الذي يضرب احد المتحرشين بك، ثم يقبلك بكل شوق... هذا شيء يشبه قصص الحب القديمة».

«عندما سترينه، ميغ، ستفهميني جيداً. لقد تغير كثيراً لدرجة انه اصبح مخيفاً».

«اذاً، سأقنع بيل بقضاء يومين في روشبرين، هكذا اتمكن من الحكم على نيل ماكبان هذا جيداً».

في صباح يوم الاثنين التالي، وبينما كانت ايزون في مكتب الادارة اثناء فرصة التلاميذ، سمعت دقات على الباب.

«اتسمحين لي بالدخول؟» سألها نيل ماكبان وهو لا يزال امام الباب.

«ارجوك تفضل»، اجابته بصوت متلعثم بسبب دهشتها.

«ماذا يمكنني ان افعل للأجلك، سيد ماكبان؟».

«اريد ان اكلمك لن آخذ من وقتك سوى القليل...».

«انا آسفة، فوالدتي هي التي تتعامل معك، فأنصحك بالذهاب الى البيت، ستجدها هناك حتماً».

«لم احضر لمناقشة موضوع روشبرين. جئت لأكلمك عن موضوع يهمك بشكل خاص، المدرسة».

«لا افهم».

«اريد فقط ان اعرف اذا كان بامكانكم استقبال تلميذ جديد».

«بالتأكيد، ولكن اتريد ان تسجل طفلاً في المدرسة؟».

«نعم».

«اعطني اسمه وعمره، ارجوك» قالت بسرعة وهي تفتح دفتراً امامها.

«اندريه غارسيا. عمره ستة اعوام».

«عنوانه؟».

«عندما سيصل، سيقيم معي عند والدي».

«جنسيته؟».

«انه برازيلي...» قطع نيل كلامه وقد لمعت شرارة غريبة في عينيه. عندما لاحظ دهشة الفتاة، ادار وجهه.

«سيسكن هنا دائماً، وستكون اسكتلندا وطنه الجديد...».

«متى ستصطحبه الى المدرسة».

«سيصل يوم الاربعاء من البرازيل. لنقل... الاثنين

القادم؟».

«حسناً... ولكن يجب ان اخبرك بان المدرسة قد تقفل ابوابها في عطلة الميلاد بسبب قلة التلاميذ... وسيكون على التلاميذ ان ينتقلوا الى مدرسة ستراثكوران».

«سأفكر بذلك في حينه، المهم الآن، ايمكنني اعتباره مسجلاً».

«نعم».

عندما اتجه نيل نحو الباب ليخرج، نادته ايزون: «عفواً نسيت! يجب ان اسجل اسم ولي امر الطفل». وفتحت الدفتر من جديد وانتظرت.

«انا» قال نيل اخيراً.

جف حلق ايزون وهي تسجل اسم الولي.

«لحظة! مكان كلمة ولي، سجلي «والد» واضيفي ماكبان بعد اسم غارسيا اندريه هو ابني».

«لم اكن اعلم انك متزوج!». قالت متلعثمة.

تأملها نيل لحظة وقست ملامح وجهه. «لم يكن لدي اي سبب لأخبرك». قال بحدة ثم خرج بسرعة.

اذاً لهذا السبب اراد شراء ريشبرين، فكرت ايزون بعد ذهابه. منزل والده ليس مناسباً لاستقبال زوجته وابنه. زوجته التي لم يأت على سيرتها ابداً، والتي لا يمكن الا ان تكون من اجمل نساء البرازيل ذات السحر الغريب، لان السيد نيل ماكبان ليس من النوع الذي يكتفي بالجمال العادي. بدون شك هي سليلة من عائلة كبيرة، وهذا ما يفسر ثروته الكبيرة.

www.elromancia.com

يوم الاربعاء، عندما عادت ايزون الى المنزل، لم تر سيارته امام منزل والده لليوم التالي. من المحتمل ان نيل ذهب لاستقبال زوجته وابنه من مطار انيغرنيس ليقضي معهما ليلة في الفندق قبل ان يقطعوا آخر مرحلة من سفرهم.

هذا الرجل اقلق هدوء حياتها، لكنها لن تسمح له بتسميم ما تبقى من وجودها.

في اليوم التالي، في وقت الغداء، لاحظت عند مرورها امام منزل العجوز ماكبان، ولداً صغيراً يطل برأسه من النافذة بعينيه الحزينتين. ظلت نظراته الكئيبة تقلق الفتاة طوال فترة بعد الظهر، واحست برغبة قوية لمعرفة المزيد عن هذا الطفل وعن والدته.

- ٧ -

هل السيد نيل ماكبان ارمل ام مطلق؟ هل زوجته نجمة سينمائية ام مغنية اوبرا؟ ايتكلم ابنه الانكليزية ام البرازيلية؟.

كانت جسي اول من تطرق لموضوع هذا الطفل في المساء اثناء تناول العشاء.

«ماذا سيفعل هذا الصبي بعد المدرسة عندما يكون والده مشغولاً بترميم القصر وتأهيله؟ علمت ان زوجته لم تأت مع ابنها. اذا تأخرت كثيراً، فإن حال هذا الصغير لن تكون جيدة. انا اشفق عليه. لا اتصور العجوز ماكبان يقوم بدور الحاضنة».

جسي على حق، لماذا لم تأت زوجة نيل ماكبان بنفس الوقت مع ابنها؟.

www.elromancia.com

اية قسوة تسمح بترك طفل في السادسة من عمره يتعذب بهذا الشكل.. ان يقتلع من ارضه وبيئته وينقل الى الطرف الآخر من الدنيا ليعيش مع جد عجوز ووالد فظ لا يعرف معنى كلمة اللطف! بدون وجود ام تواسيه او امرأة مقربة منه يمكنه ان يشكو لها خوفه وهمه...

في الساعة التاسعة من صباح الاثنين التالي، سمعت ايزون خطوات في الممر، ففعلت كما فعل التلاميذ والتفتت نحو الباب. بعد لحظة، ظهر الصبي الصغير ممسك بيد نيل ماكبان بحزم.

فهمت ايزون ان هذه اللحظة ستحفر لا بد في ذهن الصغير، كان شاحباً بجانب والده الذي فقدت ملامحه اي اثر للقسوة والتعجرف، واكتسبت شيئاً من الحنان.

«صباح الخير، اندريه». قالت بلطف وهي تقترب منهما.

مد الصبي يده بتردد نحو المعلمة ورفع نحوها عينيه الشبيهتين بعيني والده. لم يكن هناك ظل ابتسامة في نظراته الخائفة. امتلأ قلب المعلمة بالحزن والتفتت نحو الوالد.

«بامكانك ان تذهب بدون خوف، سيد ماكبان، اندريه هنا بين ايد امينة، بامكاني ان اعيده معي الى المنزل عند الظهر».

«شكراً لك، آنسة ماكاي»، ثم التفت الى الصغير.

«الى اللقاء، اندريه. كن عاقلاً». وداعب شعره الحريري ثم اختفى.

يوم المدرسة الأول هذا سيكون ذا أهمية كبيرة بالنسبة للصغير. فقررت ايزون ان تجعله يحتفظ بذكرى جيدة عنه.

التفتت نحو التلاميذ وعرفتهم على زميلهم الجديد ودعته للجلوس قرب هنري. مرت فترة الصباح بدون اي حادث. اندريه كان طفلاً ذكياً يعبر بلغة انكليزية مطعمة بلهجة برازيلية تزيده سحراً.

راقبته خلال الفرصة فوجدته يلعب بحذر مع فتاتين ويتجنب اللعب مع الصبيان. ابتسمت ايزون بحنان ورضى. اندريه يتصرف بشكل طبيعي.

يوماً بعد يوم تحسن اندريه اكثر وبدأ يلعب مع رفاقه الصبيان واختفت عن وجهه ملامح الخوف، واشرقت على شفتيه ابتسامة خجولة. في نهاية الاسبوع، نظرت ايزون الى الصبي يبتعد مع والده. هل سيسمح له والده باللعب في الخارج مع اطفال القرية؟ انه بحاجة للهواء الطلق علمت ايزون من زملائه انه يبقى سجيناً في المنزل بعد الصف ولا يخرج الا الى المدرسة.

مساء يوم الجمعة هذا، شكت ايزون همها لجسي.

«يبدو انك تحبين هذا الصغير؟».

«نعم... هذا صحيح» اعترفت ايزون.

«مع كرهك لوالده؟».

«مشاعري نحو نيل ماكبان هي مختلفة، جسي، عندما تتعرفين على اندريه، ستفهمين. تصوري انه جاء به الى بلد غريب بدون ام ترعاه».

«لابد من وجود حل. لماذا لا تسألي والده عن موعد وصول والدته وتشرحين له سبب قلقك على الصغير؟».

«اوه، لن اجرؤ ابداً! سيغضب كثيراً».

«لكن الامر يتعلق بمصلحة الصغير. ستكون لديك فرصة هذا المساء لتكلميه لانه سيزور والدتك بعد العشاء».

«لماذا؟».

«لان ادوات العمل ستصل في الاسبوع القادم يجب ان يبدأ العمل في القصر».

«اذاً يجب ان ننتقل الى المنزل الصغير».

«نعم، ولكن بعد ان ينتهي العمل من دهنه وترتيبه لقد اتفقت والدتك مع السيد نيل وارادت ان تترك الامر مفاجأة لك».

كانت تشاهد التلفزيون مع والدتها عندما رن جرس الباب في المساء.

«سأفتح انا»، قالت الفتاة بسرعة وهي تنهض، «اريد ان اكلمه».

«ايزون...» صرخت والدتها.

«بالنسبة لابنه، يا امي... لا تقلقي».

عندما فتحت الباب ورأته، ارتعشت داخلياً، لن يسمح لها ابداً بالتدخل بحياته الخاصة. لكنها تذكرت نظرة الحزن في عيني اندريه، فجمعت كل شجاعتها وقالت:

«سيد ماكبان، قبل ان تدخل لوالدتي، احب ان اكلمك قليلاً».

«بأي موضوع؟». سألها وهو يدخل البهو.

«بالنسبة لابنك اندريه، اطمئن» اضافت عندما رأته يعقد حاجبيه.

«لا احاول التدخل بشؤونك، اريد فقط مصلحة اندريه».

ثم تمالكت اعصابها، وتابعت: «انه لا يزال صغيراً.. بدون حماية. ايمكنني السماح لنفسي بسؤالك متى ستصل زوجتك؟.. وارجو ايضاً ان تسمح لاندريه باللعب بالخارج مع زملائه بعد دوام المدرسة».

ساد صمت ثقيل للحظات.

«اهذا كل ما تريدين قوله؟» سألها بهدوء.

«نعم» تمتمت الفتاة.

«سأجيب اولاً عن سؤالك الثاني. اندريه ليس معتاداً على الالعاب العنيفة. كان ضعيفاً وبالكاد بدأ يستعيد قواه. عندما سيعتاد على المدرسة، سأسمح له باللعب في الخارج. انا اشاركك الرأي بأن الهواء المنعش مهم بالنسبة للصحة. اما بالنسبة لسؤالك الاول، فاني اريد ان اعرف لماذا طرحته».

«لا يوجد سبب خاص، اريد ان اذكرك بأن المعلمة هي التي تكلمك الآن».

حدقت بها عيناه الرماديتان.

«انه بحاجة لوجود امرأة... تتمكن من مواساته عندما يشعر بالغربة وهو وحيد، لا يزال صغيراً جداً كي يبعد عن والدته... و» تلألأت الدموع فجأة في عينيها.

www.elromancia.com

«. . . احدى تلميذاتي هي جارتكم، ولقد اخبرتني انها ترى اندريه يبكي كثيراً. . . هذا حطم قلبي، سيد ماكبان. . . اندريه لطيف وحساس ولهذا لم يكن بامكاني الصمت اكثر».

«انت تحبينه؟».

«نعم».

بدا نيل ماكبان متردداً ثم قال فجأة:

«والدته لن تأتي ابداً. لقد توفيت منذ بضعة اشهر في ريو دي جنيرو».

«اوه انا آسفة. . . لم اكن اعلم».

«لا احد يعلم. لقد اخبرتك لانك تكنين لهذا الطفل مشاعر صادقة. . وانا اشكرك».

«ارجو ان تعذرني. . . سأقودك الآن الى والدتي» تبعها نيل حتى باب الصالون. لكنها سألته فجأة قبل ان يدخلا:

«من سيهتم باندريه عندما تكون مشغولاً بترميم القصر؟».

«لم افكر بذلك بعد. كنت قلقاً فقط على اصطحابه الى اسكتلندا قبل. . . على كل حال، سأجد حلاً والدي دائماً في المنزل، ولن اكون مضطراً لقضاء كل وقتي في روشبرين طالما ان العمال سيكونون فيه».

«تفضل بالدخول، سيد ماكبان». تركته مع والدتها ثم صعدت الى غرفتها. واخيراً فهمت سبب حزن الصغير . . . امام هذه الفكرة تمنت لو تستطيع ان تضم بين ذراعيها جسم هذا الصغير النحيل.

بعد ظهر يوم الاثنين بعد عودتها من المدرسة مرت ايزون على المنزل الصغير في البستان فتفاجأت برؤية جوني غوردن الذي لم تره منذ تلك السهرة المشهورة منذ تسعة اعوام مضت.

«نهارك سعيد ايزون». قال بلطف ماداً يده نحوها.

اين كان المراهق العصبي الذي تعارك مع نيل ماكبان بعد تلك السهرة التي لا تنسى؟ اصبح الآن في الثانية والثلاثين من عمره، لكنه ازداد سحراً وفتنة.

«كيف حالك، جوني».

«السيد غوردن هو الذي يشرف على دهن منزلنا الجديد وبسط الموكيت فيه». تدخلت والدتها التي كانت موجودة معه.

- ٨ -

كان الرجل ينظر الى ايزون بنظرات اعجاب جعلتها تحمر خجلاً. وتساءلت لماذا اختار نيل جوني غوردن بالذات للقيام بهذا العمل. ومتى علم بأن جوني يملك الآن مؤسسة صغيرة في ضواحي ستراتوران.

هذا المساء عندما خلدت الى فراشها، وجدت صعوبة كبيرة في النوم. ان قرار والدتها ببيع القصر لنيل ماكبان وكرهها لهذا الرجل لا يعادل في الواقع قلقها على الصغير الحزين. ماذا تفعل لمساعدته؟ كيف تتصرف معه؟.

عند ظهر يوم الاربعاء، كانت تصحح فروض تلاميذها في الصف عندما دخل نيل ماكبان فجأة مع ابنه.

«سيد ماكبان. . . هناك شيء لا يسير على ما يرام؟».

هز رأسه وابتسم.

«لا، لا تقلقي، لكنني اطلب منك خدمة، ايمكنك ان تصطحبي اندريه معك في الساعة الرابعة الى منزلك؟ فأنا على موعد مع والدتك عند المحامي. مررت في الصباح على القصر، فوعدتني جسي ان تهتم به حتى عودتي».

«بامكاني الاهتمام به» اجابته بانزعاج.

«انا آسف. لا اشك ابداً بكفاءتك، ولكني كنت اعتقد انك تكونين متعبة بعد الصف».

«لكن اندريه لا يشكل اية مشكلة بالنسبة لي».

وداعبت شعر الصغير بحنان، «اتحب ان تأتي معي؟ لدي كلب لطيف جداً، اسمه بوبي».

«لست ادري اذا كنت سأحبه»، اجابها الصغير بخجل.

«اتفقنا، انا متأكدة انه سيعجبك».

«شكراً لك، آنسة ماكاي. سأمر لاصطحابه عند المساء».

خرج نيل وجلس الصغير على مقعده يراقبها وهي تنهي عملها.

«يوجد حصان خشبي في العلية، اتريد رؤيته؟» سألته ايزون وهي تزوره القصر.

ابتسم الصغير وتبعها نحو السلم الحلزوني.

«ايمكنني لمسه؟» سألها اندريه بعد ان تفحص الحصان الخشبي طويلاً.

«بالتأكيد! اسمه بيغاس، بامكانك ان تمتطيه ايضاً».

تردد اندريه قليلاً عندما رأى الحصان يتأرجح.

«لا تخف، ليس هناك اية خطورة، انظر الي جيداً!»

ركبت الحصان الصغير وامسكت بأذنيه.

«هـاي، بيغـاس، انـطلق» صـرخت بمـرح مشجعـة الصغير.

ضحك اندري وصرخ.

«دوري انا... دوري أنا...».

«تعـالى» ونزلت وحملت الصغير بين ذراعيها ووضعته على السرج واخذت تهز الحصان، في البداية ظهر الخوف على الصبي، ثم مالبث ان ضحك ونسي وجود المعلمة.

فجأة، انتفضت اليزون عندما سمعت حركة خلفها، التفتت نحو الباب فرأت نيل ماكبان يراقبهما.

«وصلت منذ قليل، لكني لم اشأ ازعاجكما» قال عندما لاحظ اضطرابها.

ارتبكت الفتاة كثيراً، وقالت بتوتر.

«الافضل ان ننزل، جسي تنتظرنا».

«بـالفعـل، هي طلبت مني ان اصعـد للبحث عنكمـا» اجابها نيل دون ان يبعد نظره عنها.

ادارت وجهها بسرعة وساعدت انـدريه بالنزول عن مطيته.

«ايعجبك بيغاس؟».

«اوه، نعم» قال ولمعت عيونه بالسعادة.

«اذا كان والدك يسمح، انا اقدمه لك».

«لا اجروء على القبول» تدخل نيل «هذه اللعبة تنتمي لعائلتك منذ اجيال...».

«لن يكون لدينا مكان لها في منزلنا الجديد، يسعدني

ان اقدمها لاندريه!» وانحنت نحو الصغير الذي اسرع ورمى نفسه على عنقها وهمس باذنها.

«انت لطيفة جداً...» ثم التفت نحو والده متوسلاً «ابي... ايمكنني الاحتفاظ به؟».

«نعم انـدريـه. ولكن يجب ان نقـول شكراً لـلآنسة ماكاي».

شكرها الصغير، فحملته واتجهت نحو الباب وقفزت بحذر فوق كدسة من الصحف القديمة، فجأة داست قدمها على كتاب انزلق تحتها وافقدها التوازن، كادت تقع هي واندريه لو لم يضمها نيل بيد ويمسك ابنه باليد الاخرى.

هذا الحادث لم يدم سوى لحظة صغيرة، لكنه كان كافياً ليغير الجو الثقيل الذي بينهما.

«شكراً لك» تمتمت الفتاة بصوت ضعيف، ان وجود نيل يوتر اعصابها ويربكها، لم يسبق لها ان شعرت بمثل هذا الاحساس من قبل، حتى انها رغبت في البقاء بين ذراعيه...

تم التوقيع على عقد البيع، واصبح روشبرين ملكاً لنيل ماكبان، ما ان ينتهي جوني غوردون من العمل في المنزل الصغير، حتى تبدأ ورشة العمل في القصر.

احست اليزون بان شيئاً يموت في داخلها وهي تستعد لمغادرة منزلها، لحسن الحظ كان عملها يسليها ويجنبها الانهيار بسبب خسارة روشبرين، كان هناك اندريه ايضاً الذي بدأ يستعيد الوانه والذي احتل مكاناً كبيراً في قلب معلمته، لكن لا يجب عليها ان تنسى بانه ابن نيل ماكبان.

www.elromancia.com

لم تكن ترى والدتها كثيراً في هذه الايام لانها كانت تحبس نفسها في مشغلها من الصباح وحتى المساء.

«اوه جسي...» تنهدت اليزون وهي تشرب القهوة مع جسي في المطبخ «بعد مدة لن نتعرف على هذا المطبخ، فالسيد ماكبان سيغير الديكور حتماً».

«بالفعل لكني سأكون سعيدة باعداد طعام السيد نيل ماكبان».

«جسي».

«لا تقلقي يا ابنتي، لن اقبل العمل عنده الا نصف دوام فقط، لانني لن اتركك انت ووالدتك ابداً، انا متأكدة انه سيكون رب عمل طيب».

«وما ادراك؟».

«نيل هو رجل طيب مسؤول وشريف».

«لكني لا اشاركك رأيك».

«لكنها الحقيقة».

«انا لا اطيقه».

«وابنه؟» سألتها جسي بمكر.

«انه ليس سوى طفل، يشبه والده، هذا صحيح لكنه اخلاقياً يختلف عنه اختلاف الليل عن النهار الا تذكرين كيف كان نيل في صغره؟».

«نعم لكنه الآن رجل متزن، والآن هيا ساعديني...».

«يجب علي ايضاً ان ارتب غرفتي، اوه جسي، اتعتقدين اننا سنكون سعداء في المنزل الصغير؟».

«ولما لا؟ على الاقل سيكون دافئاً في فصل الشتاء».

في اليوم التالي علمت اليزون من احدى الزبونات الدكان الوحيد في القرية بان طريقاً واسعاً سيشق قرب القصر، وسيتم انشاء محطة للرياضة الشتوية في المنطقة، هكذا سيتردد على فندق نيل ماكبان عدد كبير من الزبائن وسيكسب الكثير من المال لان شيلبيغ ستصبح منطقة سياحية يقصدها عدد كبير من المتزلجين.

فهمت اليزون ان هذا المشروع لا يزال سراً وقد اكدت لها تلك الزبونة بان لنيل ماكبان قريباً يعمل في بلدية انيفرنيس هو الذي اخبره بالتأكيد بهذا المشروع.

غادرت الفتاة الدكان وقد نجحت في اخفاء غضبها لكنها ما ان وصلت الى ملجأ بين الاشجار حتى توقفت ووضعت سلتها على الارض واخذت ترتجف من الغضب، هذا الرجل المخادع سرقهم بكل سهولة، اشترى روشبرين بسعر زهيد وهو يعلم بان ثمنه سيزداد مع وجود الطريق الجديد ومحطة التزلج.

كان كالثعلب المحتال يجر السيدة ماكاي الى مكتب المحامي، واظهر كل لطف وهو يطلب منها الاهتمام بديكور الفندق والاحتفاظ بمرسمها.

منذ ايام قليلة، في العلية اعتقدت انها اكتشفت احد وجوه هذا الرجل، للاسف كانت مخطئة، لا، نيل ماكبان لم يتغير مع مرور السنين، عندما انحنت لتحمل سلتها سمعت صوتاً خلفها.

«دعي عنك، سأحملها انا».

التفتت بسرعة، واذ بنيل ماكبان يقترب منها.

www.elromancia.com

احست بهذه اللحظة بكره كبير له لدرجة انها بدأت بالبكاء.

«ماذا حصل؟» سألها نيل بقلق وهو يمد يده نحو السلة.

لكنها اسرعت وتناولت سلتها قبله.

تغيرت ملامح وجه نيل، وعقد حاجبيه.

«هل انا مخطىء ام انك غاضبة مني؟ لاي سبب؟ هيا اجيبي!».

«علمت لتوي انهم ينوون شق طريق وانشاء محطة للرياضة الشتوية».

«اذاً؟» اجابها بهدوء.

«هل كنت تعلم؟» سألته بحدة.

«هكذا اذن» قال مبتسماً بهدوء.

«هل كنت على علم» كررت سؤالها وهي ترمقه بنظرة حتقار.

«ربما».

- ٩ -

«في هذه الحالة، انت خدعتنا بالنصب والاحتيال، كنت تعلم بوجود هذا المشروع وتركت والدتي تبيعك روشبرين بثمن زهيد لانك. . .» ثم تقطع صوتها «لانك لست سوى سارق».

«لو كنت مكانك لانتبهت الى ألفاظي» اجابها بهدوء يخفي غضباً شديداً.

«انت استغليت جهل والدتي وكسبت».

«اذاً انت تعتبرين انني اشتريت روشبرين لانني كنت اعلم بمشروع الطريق الجديدة، وبالتالي انا سارق مخادع».

حملت اليزون سلتها وحاولت متابعة سيرها لكنه امسك ذراعها بعنف فسقطت السلة من يدها.

www.elromancia.com

«انا لا احب ان يدير احد لي ظهره بينما اتكلم كما وانك انت طلبت ايضاحات، وانا مصر على ذلك».

«دعني» صرخت وهي تقاومه «لا اريد ان اوجه الكلام لشخص سافل مثلك! لقد نجحت في الاستيلاء على روشبرين، كسبت المعركة اذاً لا ضرورة للنقاش».

«تعتقدين انه مسموح لك بكل شيء لانك الانسة ماكاي، حسناً، ستتخلين عن هذه العادة لانني لا اتحمل ان يعاملني احد كسارق، انا لا اكذب ايضاً ولم اكذب من قبل، حتى وانا طفل صغير، من ناحية اخرى حصلت على ثروة مناسبة لشراء روشبرين».

تذكرت اليزون جملة قالها نيل في غمره غضبه ذات يوم عندما تعارك مع اخيها أليك.

«لكن بعض اقوالك تدل على العكس، وخاصة عندما كنت في الثانية عشرة من عمرك».

«ذكريني باحدها» قال لها بصوت يهزه الغضب، احست اليزون بالرعب لكنها كانت ترغب بمعرفة الحقيقة.

«قلت مرة لأليك اثناء عراككما بان روشبرين هو ملك لك... وان عائلتك هي التي كانت تملكه قبلنا...».

شد نيل على ذراعها بشكل مؤلم.

«دعني» صرخت مرعوبة.

تركها بسرعة، ولاحظت على وجهه ملامح عذاب أليم سرعان ما اختفى كما ظهر، لكن نظراته ظلت قاسية.

«ان ذاكرتك ممتازة».

«ماذا تقصد؟».

«ليس مهماً».

«بلى، طالما انك تدعي بانك لم تكذب ابداً. اذاً ماذا كنت تقصد؟».

«هذا ليس مهماً، لكنني اكرر قولي بان روشبرين كانت لنا في الماضي» اجابها بجفاف.

«أهذا يعني اننا سرقنا الروشبرين من آل ماكبان؟ ربما قبل النزاع؟ اجبني».

جاء دورها هي لتمسك ذراعه.

«اجبني».

استدار نحوها فجأة، وضمها الى صدره واطبق شفتيه على شفتيها، لم تتمكن من التصرف لانه دفعها عنه بسرعة.

«كيف تجرؤ؟».

مشهد مماثل حصل بينهما منذ تسعة اعوام تقريباً في نفس المكان... لكن قبلته في الماضي كانت قبلة شاب مرتبك، اما الآن فهي قبلة حارة ثمرة تجربة طويلة.

«كنت تطلبين جواباً؟ وقد حصلت عليه» قال وهو يلهث وقد احمرت عيناه.

«لا تكرر فعلتك هذه... والا ستندم».

«التهديد لا يخيفني، ولا التحدي ايضاً، بل على العكس يزيدني اصراراً، انصحك بان لا تنسي هذا آنسة ماكاي» ثم انحنى وناولها سلتها وابتعد.

في اليوم التالي قامت اليزون بجولة على المنزل الجديد حيث كان العمل فيه على وشك الانتهاء، وقد قام جوني

غوردن بجهد كبير اعطى نتائج رائعة.

«أيوجد احد هنا؟».

ارتعبت الفتاة عند سماعها هذا الصوت في الطابق السفلي، وخشيت ان يكون نيل ماكبان الذي لم تره منذ يوم السبت الماضي في الغابة، وعندما عادت يومها الى المنزل اخبرتها والدتها ان نيل دفع كل تكاليف منزلهم الجديد، مسكينة والدتها كم هي ساذجة، حتى انها دافعت عنه عندما اخبرتها أليزون بمشروع الطريق والمحطة، كما اكدت لها بانهما قد يبقيان مشروعين على الورق لمدة طويلة.

نزلت اليزون الى الاسفل وشعرت بالراحة عندما رأت جوني غوردن.

«اهنئك على عملك الرائع جوني».

«هل ستنتقلين غداً للاقامة هنا، كما هو متفق؟».

«نعم، اذا تمكنت من نقل اغراضنا».

«لا تقلقي، اليزون، انا وعمالي سنساعدك، سننتهي باكراً طالما ان اكثر الاثاث سيبقى في القصر».

عضت الفتاة على شفتيها بحزن، كانت والدتها تفكر ببيع الاثاث في المزاد لكن نيل اقترح شراءه، طبعاً هذا الحل افضل، لكنها تشعر بان نيل يسلبها كل شيء عزيز عليها.

«لن يكون امر مغادرة القصر سهلاً عليك، اليزون، اليس كذلك؟».

«المرء يعتاد على كل شيء».

«سنبدأ العمل في القصر فور انتقالكم الى هذا المنزل...».

«جوني... هل نيل ماكبان هو الذي طلب منك شخصياً الاهتمام باصلاح القصر؟».

«لا، للحقيقة، هو طلب من المحامي ان يجد له مؤسسة ترميم في المنطقة، للحقيقة اهل القرية لم ينسوا حتى الآن النزاع القديم بين عائلتي ماكبان وماكاي، الا ان البعض يزعم بان نيل ماكبان لم يعد هو نفسه، كما وانه يبدو مصمماً دائماً على الوصول الى غاياته».

«وانت تشاركهم هذا الرأي؟».

«نعم، نيل ماكبان سيد طيب، متطلب بالتأكيد، لكنه يعرف كيف يقدر العمل الجيد ويدفع جيداً، يسعدنا جميعاً ان نعمل معه».

«ايمكنني ان اقدم لك كوباً من الشاي؟».

«بكل سرور».

خرجا معاً وسلكا طريق القصر. مرا تحت اشجار متشابكة، وفجأة توقفت ايزون وصرخت. كان شعرها قد علق بأحد الاغصان.

«لا تتحركي». امرها جوني وسحب خصلة الشعر العالقة. لكن اصابعه تأخرت على شعرها الطويل.

ابتعدت عنه بسرعة وكانت تعرف حقيقة نواياه. الا انه امسكها بسرعة وداعب ذراعها.

«هل اعتقدت بانني سأقبلك؟» سألها بمكر.

«ابداً». كذبت وتظاهرت بالدهشة.

www.elromancia.com

«حسناً، كنت افكر ان افعل! في اول فرصة، سأحاول من جديد، انا احذرك». قال ضاحكاً.

«سأحاول اذاً ان لا اجدك في طريقي...».

«اوه، ايزون، اذا قبلت انا هذا العمل، فذلك بسببك انت!».

«انت تمزح».

«لا، اقسم لك! كنت ارغب برؤيتك، كنت اراك صدفة خلال هذه الاعوام التسعة، ولكن من بعيد. لم انس ابداً تلك الحفلة الراقصة...».

«لا اريد سماع شيء عن تلك السهرة! افهمت؟» سألته بحدة.

- ١٠ -

«لماذا؟ ماذا فعل لك؟».

«نيل ماكبان؟ لا شيء! لماذا تسأل؟».

ابتسم جوني عندما تذكر تلك السهرة.

«كنت قد تبعتك على امل الحصول على قبلة، لكنني تلقيت عدة ضربات عنيفة...».

«انا آسفة، جوني، ولكن اعترف انك كنت تستحق ذلك... انه... لم يكن هناك الا من اجل صيد الاسماك».

«لكن ليس هذا ما اكده لي!».

«آه حسناً! ماذا ادعى حينها؟».

«قال لي بالحرف الواحد: لا تقترب منها، يا صغير انها لي. ابداً، لن اتمكن من نسيان نظرته وهو يكلمني».

www.elromancia.com

في اليوم التالي انتقلت ايزون ووالدتها وجسي الى المنزل الجديد. صعدت الفتاة الى غرفتها واحست بكآبة غريبة. غرفتها كانت رائعة بورق جدرانها الازرق الجديد وأثاثها البسيط، لكنها لم تتمكن من النوم. ففكرت بنزهة في البستان قرب النهر.

«بوبي، لنخرج» قالت لكلبها وسبقته على السلم بهدوء كي لا توقظ والدتها.

جلست تحت شجرة تتأمل المنظر الممتد امامها تحت ضوء القمر. ظلت نصف ساعة جالسة مكانها الى ان شعرت بشيء من السكينة. فنهضت ولاحظت انها اتجهت تلقائيا نحو القصر.

لما لا؟ قالت لنفسها. نظرة اخيرة على منزل طفولتها، وداع اخير فقط وغداً تبدأ حياة جديدة.

صعدت السلم الحجري برفقة كلبها ثم دفعت الباب ودخلت الى الصالون. وجدت الاثاث كله مكدس في زاوية الغرفة التي تبدو بائسة وكأنها مهجورة منذ سنوات.

جلست على الارض ودست وجهها في فروة كلبها واجهشت بالبكاء.

لماذا جاءت؟ تساءلت بمرارة. لماذا تحرك الحديد على الجرح؟ القصر لم يعد ملكاً لها... بعض الذكريات عادت الى رأسها... نيل ماكبان، في سن الثانية عشرة كان يؤكد ان روشبرين تعود لعائلته... وتذكرت كلام جوني عن تحذير نيل له بعد تلك الحفلة.

«لنعد، بوبي!» امرته وهي تنهض.

فجأة، نبح الكلب وبنفس اللحظة فتح الباب وسمعت خطوات في البهو.

«يا الهي، ماذا تفعلين هنا؟» سألها نيل ماكبان.

«كنت ذاهبة»، اجابته ببرودة وهي تتمنى ان لا يلاحظ احمرار عينيها.

«هيا بنا، بوبي!» رأته يمد يده نحو زر الكهرباء.

«لا! لا تشعل النور، ارجوك!» صرخت الفتاة.

بدون شك، فهم سرها لانه رفع يده عن زر الكهرباء وقال بصوت عذب.

«لماذا انت مستعجلة؟».

«لا استطيع البقاء».

«قولي بالاحرى انك لا تريدين البقاء معي».

لماذا تشعر امام هذا الرجل وكأن حملاً ثقيلاً يضغط على صدرها؟.

«ليس الوقت مناسباً للنقاش! ارغب فقط بمغادرة منزلك بأقصى سرعة».

«لماذا جئت اذاً؟».

«لا يمكنك ان تفهم. اذاً لن اضيع وقتي بمحاولة شرح الاسباب لك. والآن... لو سمحت، ابتعد ودعني امر».

«سأصطحبك.. هناك غجر يخيمون قريباً من هنا. ولهذا السبب جئت لأقفل الباب بالمفتاح، انتظريني».

«انا لا اخاف منهم».

«لكنك لم تلتق بهم ليلاً».

www.elromancia.com

«بدون شك، سأشعر معهم بأمان اكثر مما اشعر به معك»، قالت بحدة واشارت للكلب كي يتبعها.

في الطريق، تذكرت كلام جوني «لا تقترب منها، يا صغير، انها لي». من المؤكد ان نيل كان يقصد روشبرين وقد حصل عليها... لكنها متأكدة انه يرغب بها... بايزون ماكاي... لكنه لن يحقق حلمه هذا ابداً.

مرت الايام وبدأت ايزون تحب منزلها الجديد. في القصر، كان العمل يبدأ في الصباح الباكر ولا يتوقف العمال الا مع مغيب الشمس. استمر الطقس ممطراً وايزون تفكر باندريه الصغير الذي تمنعه رداءة الطقس من اللعب في الخارج بعد المدرسة. المسكين يقضي معظم وقته وحيداً مع جده او ينتظر امام النافذة والده.

ذات يوم، كانت تصطحب الصبي الى المنزل في الساعة الرابعة عندما قررت ان تنصرف.

«اذا سمح جدك، اندريه، انا ادعوك الى منزلي» فرح الصبي وخرج من السيارة مسرعاً. بعد لحظات عاد واخبرها بأن جده وافق.

«حسناً، سنمر في طريقنا على والدك لنخبره انك معي».

بعد دقائق، توقفت امام باب القصر.

«انتظرني في السيارة، لن اتأخر».

دخلت الى البهو. وسمعت طرقات قدوم في الطابق العلوي.

«ايوجد احد هنا؟».

توقف الضجيج على الفور وظهر جوني في اعلى السلم.

«مساء الخير، ايزون. ايمكنني مساعدتك بشيء ما؟» سألها مبتسماً بحرارة.

«هل السيد نيل هنا؟».

«انه في العلية». ثم التفت نحو احد العمال وطلب منه ان يناديه، بينما عاد ينظر الى الفتاة باعجاب.

كم هو لطيف... وفاتن! جوني مختلف جداً عن نيل الفظ المتعجرف، لكنه لا يصل الى مستوى سحره.

«لا تتحرك»، امرته ايزون ومدت يدها بسرعة وأزالت عن حاجبه اثراً للجفصين.

حبس جوني اصابع الفتاة في يده وشكرها. كانت ايزون تستعد لابعاد يده عن يدها عندما لمحت نيل الذي يراقبهما بصمت من اعلى السلم. تملكها احساس غريب لم تفهمه. فتوقفت عن المقاومة وضحكت بأعلى صوتها بينما تركت جوني يطبع قبلة على راحة يدها. ثم نظرت الى نيل بطرف عينها، كان يبدو بقمة غضبه كما كان بعد تلك السهرة منذ تسعة اعوام....

ساد صمت قصير، ثم اعلن نيل بصوت هادىء ظاهرياً لكنه لا يخفي غضب صاحبه.

«ترغبين بالكلام معي، آنسة ماكاي؟».

«نعم، اندريه معي، سأصطحبه الى منزلي، والدك على علم».

«حسناً، اذا سبب لك اي ازعاج لا تترددي في اعادته

على الفور».

«لن يسبب لي اي ازعاج، انا متأكدة». ثم وجهت كلامها الى الرجلين واضافت: «الشاي سيكون جاهزاً بعد قليل. انتما على الرحب والسعة».

«بكل سرور» اجابها جوني، بينما اكتفى نيل بأن هز رأسه.

عادت ايزون الى سيارتها والابتسامة تعلو وجهها. ومع ذلك، تجنبت ان تسأل نفسها عن سبب غضب نيل.

منذ ذلك اليوم، اعتادت ايزون على دعوة اندريه الى منزلها بعد المدرسة. وبفضل طعام جسي اللذيذ، بدأت صحة الصبي تتحسن. اما السيدة ماكاي، فكانت تقضي اوقات فراغها القليلة برسم الصغير الذي تجده رائعاً.

- ١١ -

كانت ايزون تتعلق يوماً بعد يوم بأندريه اكثر. وكانت تشفق عليه لان العام الدراسي سينتهي قريباً وسيكون الصغير بالتالي وحيداً مع جده طوال النهار.

قبل يوم واحد من بداية العطلة، اطلعت ايزون جسي على مخاوفها، كانت جسي تعد الشاي والسندويشات لنيل وجوني كعادتها كل يوم.

«ماذا تقترحين، يا ابنتي؟».

«لست ادري؟» اجابتها ايزون.

«بامكاني ان ادعوه كل يوم الى هنا، ولكن...».

«انا افهم، يا ابنتي... الوضع حرج بالنسبة لك. ولكن اذا جاء الاقتراح من والدتك او مني انا...».

«اوه جسي، اتفعلين ذلك من اجلي؟» سألتها الفتاة

www.elromancia.com

باشراق.

«طبعاً، انا لا اريد ان اراك في موقف حرج!».

«اوه جسي، كيف يمكنني ان احب هـذا الصبي واكره والده بنفس الوقت؟».

«هـل انت متأكـدة مما تقـولين؟» سـألتهـا جسي بحنـان وبصوت عذب: «هل انت متأكدة انك تكرهينه؟».

«لنقـل انني لا احبـه... ولكن... الى اين تـريـدين الوصول؟».

هزت جسي كتفيها ووضعت الفناجين على الصينية.

«انا افكر... فقط لو ان...».

«لو ان ماذا جسي؟» اصرت الفتاة بقلق.

«حسناً... انا الاحظ ان نيـل لا يكرهـك كما تحـاولين اقناعي...».

«جسي...».

«نعم، ذات يوم، جاء الى المطبخ ليأخذ الشـاي، كنت انت تلعبين في الحديقة مع اندريه.. وقف نيل امام النافذة وراقبكما مدة طويلة، فلاحظت انه...».

«ماذا؟» سألتها ايزون وقلبها يدق بسرعة.

«لاحـظت مـلامـح وجهـه. كـان ينـظر اليـك بـرقـة وحنان...».

«كان بالتأكيد يتأمل ابنه».

«لا.. كان ينظر اليك انت، انا متأكدة».

«انت مخطئة.. فهو يكرهني بقدر ما اكرهه».

الا انهـا رغم جهودهـا، هزتهـا كلمـات جسي واربكتهـا

كثيراً.

وضعت جسي السندويشات على الصينية.

«سأحملها لهما بنفسي» قالت ايزون.

«ولكن...».

«سأعطيها لجوني!» قاطعتها ايزون بشيء من التحدي.

استقبلها جوني في البهو وحمل الصينية عنها.

«اين اصبحت الاعمال؟».

«انها تتقدم بخطوات سريعة».

«ايمكنك ان تريني ماذا حققت حتى الآن؟».

«بكل سرور».. قال وهو يسكب كوب الشاي.

«قولي لي ايزون. هل ستذهبين الى عيد القرية الاسبوع القادم؟».

«بالتأكيد! وانت جوني؟».

«انـا ايضـاً! ستقـام حفلة راقصـة كـالعـادة هـل نسيت ذلك؟».

«لا».

«اتمنى ان تسمحي لي ببعض الرقصات».

«بالتأكيد» اجابته بمحبة.

«هيا بنا. والا فإني لن انفذ اقوالي».

«اقوالك؟».

«وعدت نفسي ان لا اقبلك الا اذا وافقت».

ابتسمت ايزون. وتبعته وهي تفكر بأنه رجل خـطير. اذا لم تنتبه فستكون كمن يحرق اصابعه باللعب بالنار.

صعدا اولاً الى الطابق الاول ودخلا الى الغرفة التي كان

www.elromancia.com

والداها يشغلانها في الماضي، كان بداخلها عاملان يصلحان النوافذ.

بعد ان ناداه جوني، وصل نيل من الغرفة المجاورة يحمل مطرقة صغيرة في يده.

«ايزون ترغب بزيارة المكان لترى تطور سير العمل فيه».

«تفضلا، ارجوكما». دعاهما نيل. «لكن انتبها لباب المطبخ العلوي، انه ليس مثبتاً».

«حسناً، تعالي، ايزون».

عندما صعدا الى العلية، توقفت ايزون ونظرت حولها بدهشة واعجاب. كل الادوات والاشياء التي كانت مكدسة هنا طوال سنوات، اختفت ولم يبق منها سوى الحصان الخشبي.

«لم اكن اعتقد ان هذه الغرف واسعة هكذا».

بعد ان زارت الحمام الذي اصبح رائعاً، فتح جوني بحذر باباً الى جهة اليمين.

«وهذا المطبخ».

تأملت الفتاة الخزائن الخشبية والمغسلة الجديدة، المطبخ كله اصبح على الطراز الحديث.

«اهنا سيسكن نيل واندريه؟».

«نعم، الم تكوني على علم؟».

«لا، كنت اعتقد انه سيوظف مديراً يشرف...».

«لا، ابداً، انه يصر على ادارة فندقه بنفسه، وسيبحث عن مدبرة تهتم بابنه اثناء انشغاله بعمله. الفندق سيكون

من الدرجة الاولى».

«لن يجد صعوبة في جذب الزبائن اليه، خاصة بعد ان شق الطريق الجديدة».

«يبدو انك لا تحبينه. اما انا فأحبه... مع انه ذات يوم حطم لي وجهي... بسببك» اضاف بصوت منخفض.

«سبق وطلبت منك ان لا تفتح هذا الموضوع ثانية».

«حسناً! لن افتحه مرة ثانية، اعدك بذلك، اوه، ايزون كم انت جميلة عندما تغضبين!».

«لست غاضبة».

«لا.. بالتأكيد لا.. اليست الفتيات الجميلات دائماً على حق؟».

«اوه، جوني، انت لا تقهر!».

«لننزل ونتابع جولتنا».

«انتظرني لحظة!» كانت تريد ان تتفحص الخزائن عن قرب.

«ستجدينني في الاسفل، اريد ان اشرب الشاي قبل ان يبرد».

«حسناً».

«انتبهي الى الباب!».

«لا تقلق».

وقفت ايزون امام الخزائن تفتحها وتتحسس خشبها المالس باعجاب، هل نيل هو الذي صمم هذه الخزائن الرائعة؟ تساءلت وهي تتذكر علبة السجائر وبعض الكراسي المنحوتة الصغيرة التي صنعها في الماضي في المدرسة.

www.elromancia.com

نهضت وفتحت الباب وهي تلقي نظرة اخيرة على المطبخ. تذكرت فجأة تحذير نيل لكن بعد ان فات الاوان، لان الباب الثقيل الوزن وقع على الفتاة التي اصبحت تحته وهي تصرخ تحت تأثير الصدمة، سمعت خطوات مسرعة على السلم، ثم رأت من خلال الضباب الذي يغشي نظرها، نيل وجوني. بلحظة واحدة رفعا الباب الذي كاد ان يحطم ساقيها.

«ايزون، هل تسمعينني؟» تمتم نيل بقلق وهو يجلس على ركبتيه بجانبها.

- ١٢ -

حركت جفنيها لتطرد دموع الالم التي تتلألأ في عينيها. امتدت يد قوية تحت ظهرها وساعدتها على النهوض.

«جوني، قطعة قماش، ستجد قماشاً في الغرفة الثالثة... بللها». امره نيل.

«لكنني لست...» اعترضت الفتاة ثم اجهشت بالبكاء عندما رأت الدم يسيل من ساقها.

«لا يوجد اي خطر». طمأنها الرجل «ايمكنك الجلوس؟».

«نعم».

لماذا يا الهي، نيل القاسي البارد عادة يظهر نحوها كل هذا الحنان؟.

عاد جوني يحمل قطعة قماش مبللة بينما كان نيل لا

www.elromancia.com

يزال يضغط على الجرح. تناول قطعة القماش ولف ساق الفتاة بها.

«الآن، اذهب جوني وطمئن السيدة ماكاي». ثم اختفى جوني بسرعة.

«ايزون... لو تعلمين كم انا آسف لتعرضك لهذا الحادث...».

«الذنب... ذنبي». قالت وهي تحبس دموعها.

«لا تحمل نفسك المسؤولية».

«الآن، سأعيدك الى منزلك لا تخافي سأحملك جيدًا». ثم انحنى وحملها بين ذراعيه كأنه يحمل ريشة، ونزل السلم ببطء.

بالكاد كانت ايزون تجرؤ على التنفس بين ذراعي هذا الرجل الذي يربكها. ايلاحظ دقات قلبها الغير منتظمة؟ كم ان شعره جميل، كم وجهه فاتن! يا الهي، لم يسبق لها ان لاحظت هذا السحر الذي ينبعث من ملامحه. نيل الغامض، هذا الاسم الذي كانت تطلقه عليه دائماً يناسبه جيداً واكثر من اي وقت آخر...

في المنزل، اسرع نيل ليطمئن جسي، وطلب منها ان تحضر له مطهراً وضمادات وكوباً من الماء وبنظرة واحدة، قطع اعتراضات ايزون وبدأ يسحب القماش المبلل بالدم عن ساقها.

«يجب على الآن ان انزع كلساتك».

«انه ليس كلسات، بل كولون». صححت الفتاة كلامه ثم اضافت بمكر.

«الا تزال مصراً على نزعه؟».

لمع الغضب في عيني الرجل.

«تمددي!».

اطاعته، وكانت تنتظر ان يخرج من الغرفة كي تخلع الكولون بنفسها... لانها كانت مقتنعة انه لن يسمح لنفسه بـ... بهذه اللحظة بالذات، دس نيل يديه تحت تنورتها، ولامس خصرها بحركة حازمة لكنها لطيفة ونزع عنها الكولون.

احمر وجه الفتاة من شدة الارتباك، فجلست بسرعة على سريرها.

«اوه! كيف تجروء، ايها... ايها... السيء الخلق؟».

«انت رفعت التحدي، وانا قبلته... حسب عادتي»، اجابها بابتسامة ساخرة وبدأ بتنظيف الجرح.

«ايجب ان اتصل بالطبيب؟» سألت جسي وهي تدخل.

«لا ضرورة لذلك، جسي. الجرح ليس عميقاً». اجابها نيل.

«احضرت لك الشاي يا ابنتي. اما انت سيد نيل فلم انساك يوجد كوب من الشاي بانتظارك في المطبخ... كما وان ابنك قلق كثيراً».

«سأغسل يدي وانزل». اجابها نيل ثم انهى تضميد الجرح وخرج.

«اذاً، انه موقف حرج بالنسبة لك». قالت لها جسي.

«ماذا تقصدين...؟».

«انت تفهمينني جيداً!» قالت لها جسي غاضبة.

«هذا الرجل كان قلقاً جداً عليك بينما انت تعاندين نفسك...».

«جسدي...».

«كفى، سأذهب لاسكب له الشاي قبل ان يبرد». ثم خرجت وتركت ايزون فريسة لانفعالات متناقضة. احمر وجهها وارتعشت عندما فكرت بالمشهد الذي حصل منذ قليل...

في المساء اتصلت ايزون بصديقتها ميغ ودعتها لقضاء عطلة نهاية الاسبوع القادم في شيلبيغ مع عائلتها بمناسبة عيد القرية التقليدي.

«كيف حال عدوك اللدود؟» سألتها ميغ.

«ستتكلم عنه عندما تأتين...».

«اوه، فهمت، لا تستطيعين الكلام، اليس كذلك؟».

«نعم، سنثرثر كثيراً، عندما نلتقي. انا بغاية الشوق لرؤيتك. الى اللقاء».

بعد قليل، اتصل بها جوني ليطمئن عليها وعرض عليها ان يمر بسيارته غداً ليصطحبها الى المدرسة. فوافقت وشكرته على لطفه.

تأثرت الفتاة بالتفاتته اللطيفة. ابداً لم يحاول نيل ان يظهر مثل هذه الالتفاتة. فكرت ايزون بمرارة. لكنها كانت مخطئة لان والدتها دخلت بعد قليل وسألتها عمن اتصل بها. فأخبرتها ايزون.

«اوه يا الهي!».

«ما بك، امي؟».

«مر نيل ماكبان منذ قليل وعرض ان يصطحبك غداً بسيارته، اوه! اتمنى ان لا يراك برفقة جوني!».

«لا يهمني ذلك ابداً!» اجابتها الفتاة بحدة.

كان التلاميذ منحنين فوق اوراقهم يلونون رسوماتهم بهدوء بينما ايزون تراقبهم مبتسمة.

هذا الصباح، كان جوني قد وصل في السابعة والنصف واصطحبها الى المدرسة ووعدها بأنه سيمر لاصطحابها وقت الغداء.

خمسة دقائق بعد ويصل جوني. قالت لنفسها وهي تنظر الى ساعة يدها. لم تكن سيارة جوني التي وصلت عند الظهر، لكنها كانت سيارة نيل ماكبان الزرقاء.

«هيا ايها الاولاد، انصرفوا». قالت المعلمة لتلاميذها.

«اندريه، ابق هنا، لقد جاء والدك لاصطحابك»، قالت له عندما رأت سيارة نيل من النافذة.

بعد لحظات دخل نيل غرفة الصف...

«صباح الخير». قالت له بمرح.

«اندريه ينتظرك».

«سأصطحبك الى المنزل، آنسة ماكاي». قال بهدوء.

«اوه، ولكن جوني وعدني بأن...».

«جوني مشغول جداً»، قاطعها بحزم «يجب عليه ان يدهن الخزائن ويثبت الباب». ثم التفتت نحو ابنه بمحبة.

«هل درست جيداً اليوم؟».

«سيم، بابا».

www.elromancia.com

«يجب ان تتكلم الانكليزية دائماً. لا تنسى ذلك!».

نيل يعامل ابنه بمحبة، بالتأكيد. لكن لماذا يكلمه بهذه اللهجة؟ الا يكن له اي حب وحنان...؟».

لماذا يعامله كغريب عنه؟ كما وانه كلما تكلم عنه، قال (الصبي) او (اندريه). ولكن ابداً لا يقول (ابني) تذكرت الفتاة ايضاً انه لا يتكلم ابداً عن زوجته واذا ذكرها فهو يقول (والدة اندريه)، وبمناسبات نادرة... يبدو ان هذا الرجل لا يملك قلباً، قالت لنفسها وهي تجلس في السيارة.

ظلت صامتة طوال الطريق، لكنها لم تستطع منع نفسها من النظر خلسة الى يدي نيل على المقود، هاتين اليدين القويتين اللتين.....

غضبت من نفسها وادارت وجهها نحو الخارج، الى اين تقودها افكارها المجنونة؟.

- ١٣ -

توقفت السيارة امام منزل ايزون.

«جسي ستعد لك الغداء». قال نيل لاندريه.

«الا اذا كنت تريدين تناول الغداء معي في المنزل الكبير».

«اريد ان اتناول الغداء مع ايزون». قال الصبي وهو يمسك يد الفتاة.

دخل الثلاثة الى المنزل فاستقبلتهم جسي مبتسمة.

«السيدة ماكاي ذهبت لشراء بعض الادوات من ستراثكوران». قالت جسي لايزون.

«آه، بما انك هنا، سيد نيل، بامكانك ان تأخذ الغداء الى القصر».

جلست ايزون وجلس الصبي قربها، فجأة رفعت الفتاة

www.elromancia.com

نظرها وتفاجأت بنيل ينظر بحنان نحو ابنه لكن نظراته عادت الى قسوتها وهو يتناول الطعام من جسي.

«سأعود في الساعة الواحدة والنصف». قال لايزون.

«حسناً... شكراً لك».

بعد الظهر، عادت ايزون من آخر يوم عمل لها في المدرسة قبل بداية الفرصة السنوية. اخبرتها جسي ان اندريه سيأتي كل يوم عندما يذهب والده لعمله في روشبرين.

«كيف تمكنت من اقناعه؟» سألتها ايزون بفرح كبير.

«بكل بساطة. اقترحت عليه ان اهتم بابنه. تردد في البداية لكنه كان يعلم باننا نحب ابنه وابنه يحبنا. كما وان زيارة اصدقائك لنا ستزيل آخر تحفظاته، قال لي والده بانك قمت بجهود كبيرة مع اندريه الذي خرج من عزلته، كما ترين، انه معجب بك».

يوم الخميس، استيقظت ايزون مشرقة وقد تخلصت من الضمادات واختفى الالم، انها تنتظر عيد القرية على احر من الجمر. لم تكن قد رأت جوني منذ ايام. وعند الظهر، كان نيل او احد العمال يأتي ليأخذ الغداء بدلاً عن جوني، قررت ايزون ان تحمل لهم الشاي بنفسها الى القصر هذا اليوم.

ارتدت ثوباً انيقاً وسرحت شرعها بعناية، نزلت الى المطبخ وحملت صينية الشاي رغم اعتراضات جسي دخلت ايزون بهو القصر وقلبها يدق بسرعة.

«انها ساعة الشاي، ايها السادة!».

استقبلها نيل على السلم وحمل الصينية عنها وهو يتأمل اناقتها.

«اعطني الصينية، انها ثقيلة عليك». وظل واقفاً امامها لحظة. احمر وجه الفتاة وتراجعت خطوة للوراء غير قادرة على تحمل نظراته. وجود هذا الرجل قريباً منها يربكها كثيراً، ندمت لمجيئها، لو ان جوني استقبلها لما فقدت كل قدرتها امامه. يا الهي! لن تترك هذا الرجل الذي تكرهه يؤثر عليها، لو يتوقف عن التحديق بها. تمنت لو تصفعه بكل قوتها.

توجهت الى المطبخ واخذت تغسل الاكواب من الغبار.

«اتريدين ان انادي لجوني كي يساعدك؟» قال بهدوء.

«ماذا؟ ايمكنك اذاً ان تستغني عن خدماته لبضعة دقائق؟» سألته بسخرية.

«وقتي ثمين، بالفعل» قال ضاحكاً.

«ولكن بما انني لست متأكداً انك ترتدين هذا الثوب الجميل من اجلي انا...».

ابتعدت الفتاة وحاولت الخروج من المطبخ. لا نفع للنقاش معه. انه يسخر منها، لكنه قطع عليها الطريق.

«ما بك ايزون؟».

«من سمح لك بمناداتي باسمي؟ والآن، دعني اخرج، لو سمحت».

«انا اقدم لك اعتذاري، آنسة ماكاي. هذه الشكليات فاتتني» قال ساخراً دون ان يفسح لها الطريق.

«هل اغضبتك؟».

«مجرد رؤيتك تغضبني!» صرخت باحتقار.

«لا تخف، جئت فقط لاحضر لكم الشاي. سأكتفي من الآن وصاعداً بالاهتمام بابنك!».

نـدمت ايـزون على الفـور على كـلامهـا، لكن فـات الاوان، لقد زادتها كثيراً. رأت ذلك على ملامحه وهو يتجه ببطء نحو الطاولة.

تـرددت الفتاة قليـلاً ثم خرجت بسـرعـة وسلكت طـريق منزلها الجديد بحزن كبير. ماذا اصابهـا؟ الغضب اعماهـا. كـانت قد المحت لانـدريه بكلمـات لم تفكر بهـا فجرحت نيل عميقاً. قبل ان تغادر المـطبخ، كـانت قد نـظرت نحوه مرة اخيرة، كان واقفاً قرب الطاولة وكأن هم الدنيا كله على كتفيـه. كم كانت مخـطئة بحقـه. هذا الـرجـل يملك قلبـا ومشاعر ايضاً. اخيراً فهمت ذلك.

رغم ان الساعة اصبحت متأخرة، كانت ايزون وصديقتها ميغ لا تزالين جالستين في غرفة الجلوس تثرثران. اخبرت ايزون صديقتها كل التفاصيل حول الاحداث الاخيرة، وميغ تصغي لها باهتمام كلي.

«هـل غضب؟» سألتهـا ميغ عنـدما اخبـرتها عن كـلامها الاخير معه.

«لا، ليس تمـاماً! كنت افضـل رؤيته غـاضبـاً... لكن اكتفى بالابتعاد. احسست عندئذ انني جرحته كثيراً... ومنذ ذلـك الحين وانا اشعـر بالنـدم. وعندمـا اتى لاصـطحـاب اندريه، تجنبت رؤيته. لقد تصرفت بغباء معه.

«انه يستحق ذلك. والآن كلميني عن جـوني، انا بغـاية

الشوق للتعرف عليه».

ستـرينه يـوم السبت، لن اقول لـك عنه اشيـاء اخرى». اجابتها ايزون ضاحكة. «كم انا سعيدة بوجودك هنا، ميـغ! سيلعب اندريه غداً مع التوأمين. سيكون سعيـداً جداً! انـه طفل رائع».

«اوه! لقد انتصف الليل».

دخلت كـل واحدة الى غـرفتها، وكـانتا كعـادتهما كلمـا اجتمعتا لا تشعران بمرور الوقت.

في اليـوم التالي، وصـل انـدريـه وانسجم بسـرعـة مـع التـوأمين، ولعب معهما ومـع والدهمـا بالكـرة. فيمـا بعـد تركت الصديقتان الاولاد الثلاثـة مع بيـل وذهبتا الى القـرية لشراء بعض الحاجيات.

لـم تكن ايـزون ترى والـدتها كثيـراً في هذه الايـام لانها كانت تقضي كل وقتها في مشغلها في القصر.

لقـد تغيـرت كثيـراً في الآونـة الاخيـرة، خـاصـة بعـد الثقةالتي منحها اياها نيل، ماكبان عندما عهد اليها بديكـور الفنـدق. كانت الفتـاة سعيدة بـرؤية والـدتها مبتسمـة دائماً وواثقة من نفسها. لكنها كانت بنفس الوقت تحقد على نيل الذي يسلبها كل ما هو عزيز على قلبها.

بعد العشاء، دعـا بيل غـراهام الصـديقتين لشرب كـأس في فنـدق ستـراثكـوران. مـا ان دخلوا حتى لمحت ايـزون جوني يصل لتوه. قامت بالتعريفات ودعته للانضمام اليهم.

اخذوا يتحدثـون بمرح وينتقلون بـالحديث من مـوضوع الى آخـر. شرح لهم جـوني طبيعـة العمـل في روستبـرين

ووصف لهم المشقة التي سيشغلها نيل ماكبان في الطابق الاخير في فندقه.

«لابد ان تحويل علية الى مسكن فخم كلفه ثروة كبيرة»، قال بيل.

«انه غني جداً». ثم التفت جوني نحو ايزون واضاف؛

«كنت لاكتفي بجزء صغير من ذلك المنجم، وانت، ايزون؟».

«اي منجم؟»، سألته الفتاة بذهول.

«الست على علم؟» سألها بدهشة.

«لا».

- ١٤ -

«منذ عدة سنوات، التقى نيل ماكبان وشقيقه وزميلان بحاران معهما في بار في ريو دي جنيرو. كانوا مرحين و. . . . تحدثوا مع رجل عجوز. روى لهم الرجل نكتة عن منجم للحديد كان يملكه في وسط الغابة البرازيلية. زعم انه مرغم على بيعه لان ظروفه صعبة. باختصار، لم يكن البحارة قد وطأوا اليابسة منذ عدة شهور ولم ينفقوا قرشاً واحداً من رواتبهم، فاتفقوا واشتروا المنجم من العجوز بثمن زهيد. سلمهم العجوز رزمة من الوثائق الموقعة بخط يده واختفى. في اليوم التالي، عندما ذهبوا الى مفوضية الشرطة لاظهار ملكيتهم، علم المساكين الاربعة بان العجوز خدعهم، للحقيقة، هذا المنجم الذي تم اكتشافه منذ سنوات طويلة، خضع لعمليات تنقيب حتى لم يعد له

www.elromancia.com

اية اهمية».

توقف جوني عن الكلام وشرب جرعة من كأسه بينما ظل الجميع يحبسون انفاسهم.

«هيا جوني، تابع»، قالت له ميغ وقد نفذ صبرها.

«نيل ماكبان احتفظ بالوثائق للذكرى. ثم، ومنذ ثلاثة اعوام فقط، اكتشف احد المنقبين على بعد بضعة كيلومترات من ذلك المنجم، عرق حديد يمتد في باطن الارض. فجأة، ارتفعت قيمة ارض البحارة. صادف ان دنكن ماكبان شقيق نيل كان قد اعتزل العمل في البحر واستقر في ريو دي جنيرو وعلم من الصحف ان هذا المنقب يبحث عن مالكي المنجم المجاور ليعقد معهم صفقة. اتصل دنكن على الفور بنيل الذي كان لا يزال يحتفظ بالوثائق. باعوا المنجم بمبلغ خيالي، وتقاسماه مع زميليهما. الحقيقة تتخطى احيانا مجال الخيال، اليس كذلك؟» اضاف جوني امام ذهولهم.

«اذاً هكذا حصل على ثروته» تمتمت اليزون بشرود.

اذاً كان نيل متزوجاً عندما اشترى ذلك المنجم... ولكن كيف كان يبتعد عن عائلته ويبقى اشهراً طويلة في البحر؟ كما وان اندريه لا يزال متحفظاً ولا يتكلم عن طفولته.

واخيراً حل يوم السبت المنتظر.

«ما إن تري عدوك اللدود، عديني ان تدليني عليه» قالت ميغ لأليزون.

اتجهت الصديقتان برفقة بيل والتوامين نحو الحقل

الواقع في آخر البلدة حيث يقام كل سنة عيد القرية.

«ستعرفينه بدون صعوبة» اكدت لها الفتاة.

«قرصان بعصبة على عينه، سيكون ملفتاً للنظر بكل سهولة بين الحشود» قالت ميغ ممازحة.

«اوه ميغ».

«لقد اعطيتني له وصفاً غريباً» ضحكت الصديقتان.

«اوه، ميغ، انا لا اتوقف عن التكرار لك لكنك لا تعلمين كم انا سعيدة بوجودك هنا! ليس لدي احد افتح له قلبي، لان والدتي وجسي وقعتا تحت سحر هذا الرجل...».

«أفهمك اليزون، ولكن من جهة اخرى... يبدو لي انه رجل خارج على المألوف...».

«هذا اقل ما يقال عنه» اجابتها اليزون بمرارة.

«ولكن اذا تجرأت وقلت انه رجل وسيم وطيب فاني سأخنقك!».

وصلت الصديقتان الى ساحة العيد المزدحمة ضاحكتين، عندما رأي الولدان لعبة الخيل الخشبية الدارية، سحبا والدهما بكم قميصه.

«سأجعلهما يقومان بجولة» قال بيل لزوجته قبل ان يبتعد مع التوأمين.

وقفت الصديقتان قرب خيمة البوفيه حيث يمكنهما مراقبة بيل والتوأمين ورؤية السيدة ماكاي وجسي عندما تصلان.

كان الناس يتزاحمون حول مختلف الالعاب فالعيد ككل

www.elromancia.com

سنة في أوجه والجميع فرحون اما بالنسبة لاليزون، فهي تشعر بان شيئاً تغير في العيد، هي لم تعد نفسها... لم تتمكن من الاستسلام طويلاً لالافكارها لانها لمحته اخيراً.

كان يسير برفقة اندريه.

«لقد وصل!» همست بأذن ميغ.

التفتت ميغ وبدت عليها الدهشة.

«لا اصدق عيني».

«ماذا تقصدين؟».

لم تتمكن ميغ من شرح اسباب دهشتها لأليزون، لان اندريه بعد ان همس باذن والده الذي يتكلم مع احد القرويين ركض نحو اليزون.

«صباح الخير، اندريه» قالت له وهي تقبله.

«التوأمان يلعبان هناك على الاعشاب، اتريد أن تلعب معهما؟».

ابتسم لها الصغير ثم اختفى بسرعة البرق، وصلت السيدة ماكاي وجسي واقترب الجميع من الاولاد الذين يلعبون بمرح على الاعشاب، فجأة، سمعت اليزون والدتها تحي احداً الى جانبها، انه نيل.

بعد التعريفات، كانت اليزون بغاية الشوق لمعرفة انطباع صديقتها عنه، ولكن لماذا هي تتحرق شوقاً لمعرفة رأي ميغ عن هذا الرجل؟.

بعد قليل ذهبت الصديقتان لتشتريا المرطبات للصغار.

«بالنسبة لنيل...» همست ميغ.

«ماذا؟».

«أصحيح انك لا تجدينه فاتناً؟».

«اوه لا بأس به».

«لا بأس به؟ ولكن هذا الرجل يملك سحراً لا يقاوم! عندما نظر الي بعينيه الرماديتين، اؤكد لك انني بذلت جهداً كبيراً كي اتذكر انني زوجة وام لطفلين! وعندما وجه الكلام الي وجدته... لطيفاً جداً، لم اكن انتظر هذا من خلال وصفك له، لحسن الحظ، انا اعرفك جيداً، اليزون والا لكنت اعتقدت انك اخترعت هذه القصة بكل تفاصيلها».

في هذه اللحظة انضم جوني وبيل اليهما وقطعا حديث الصديقتين.

بينما كانت اليزون ترقص تارة مع بيل وتارة مع جوني، كانت كلمات ميغ تتردد في رأسها، قد يكون الجميع على حق بشأنه... وربما تكون اليزون متأثرة بذلك النزاع القديم بين العائلتين، والذي يعميها عن رؤية الحقيقة، لم تعد تعرف اين هي الآن.

«بماذا تفكرين» سألها جوني فجأة.

«اوه، كنت احلم...».

«لو نخرج؟ الجو خانق هنا».

تبعته الفتاة الى الخارج دون تفكير.

«اتشعرين بالبرد؟» سألها جوني عندما لاحظ انها ترتعش.

«قليلاً».

ضمها جوني بين ذراعيه بسرعة وقبلها بحرارة. تفاجأت

www.elromancia.com

الفتاة، ولم تنفعل في البداية لكنها لم تكن قادرة على الاستجابة لعناقه وقبلاته.

«اوه، اليزون. لا تعذبيني... انت جميلة جداً...» وحاول ان يضمها من جديد لكنها ابتعدت بسرعة.

«اوه، جوني، انت لم تتغير... دائماً مستعد لمغازلة الفتيات...».

«اليزون، منذ اسابيع وانا احلم بتقبيلك، كنت اريد منذ مدة طويلة ان ادعوك للخروج معي، لكنني كنت اخاف أن...».

«انت تخاف؟» سألته ممازحة.

«نعم اؤكد لك... اوه، انا احب الفتيات الجميلات... لا انكر ذلك، ولكن معك انت، اليزون... اللامر مختلف لانك لست كالاخريات، انت رائعة...» وانحنى وداعب شفتيها بقبلة حنونة، ثم اضاف بحزن حقيقي.

«انت لست لي، اليزون، انت... كان بامكاني ان اذوب بحبك... لاول مرة في حياتي، كان بامكاني ان اتعرف على الحب... ولكن اعلم الآن انا...».

لم ينهي كلامه، لانها تأثرت كثيراً فوقفت على اطراف اصابعها وطبعت قبلة محبة على خده ولم تسأله عما يقصده.

جوني شاب مميز، تمنت اليزون من كل قلبها ان يجد ذات يوم فتاة تعرف قيمته.

بناء لدعوة من نيل، ذهب بيل في صباح اليوم التالي

الى قصر روشبرين ورافقته زوجته واليزون.

«يا له من تغيير!» قالت ميغ باعجاب وهي تدخل الى البهو.

اكتفت اليزون بان هزت رأسها لم تعد تشعر عندما تزور القصر بذلك الانقباض في قلبها كما كان يحصل في السابق.

زاروا الطابق السفلي، ثم العلوي، واخيراً أبدى آل غراهام اعجابهم الشديد عندما رأوا مطبخ العلية.

«هذه الشقة عملية جداً» قالت اليزون «نيل هو الذي صنع الخزائن».

ثم قادتهما اليزون الى مشغل والدتها لتطلعهما على مشاريع والدتها بالنسبة لديكور روشبرين.

«ساكون سعيدة جداً بقضاء الاجازات هنا» قالت ميغ ثم اضافت امام دهشة صديقتها «انا اتكلم جدياً، اليزون سيكون هذا فندقاً رائعاً».

في نهاية السهرة ثرثرت الصديقتان طويلاً لان آل غراهام سيرحلون في صباح اليوم التالي باكراً، وعندما صعدت اليزون الى غرفتها كانت تشعر بالكآبة. لماذا؟ لماذا كل هذا الفراغ المفاجيء في حياتها؟ هي متأكدة ان السبب لا يتعلق بخسارة روشبرين...

في اليومين التاليين، تجنبت اليزون الاقتراب من روشبرين وكانت تهرب الى المطبخ عندما يأتي نيل ليأخذ الغداء او الشاي.

استغلت الطقس الجميل، واخذت تخرج بنزهات طويلة

www.elromancia.com

مع اندريه والكلب بوبي، خرج الطفل شيئاً فشيئاً عن تحفظه وروى لها رحلته في الطائرة من البرازيل حتى اسكتلندا لكن الفتاة ظلت تجهل كل شيء عن طفولته وتجنبت سؤاله عن حياته السابقة في البرازيل.

www.elromancia.com
مـــرجـــولـــة

- ١٥ -

يوم الاربعاء تركت اندريه مع بوبي في الحديقة وذهبت لشراء بعض الحاجيات من القرية، عند عودتها كان الطفل والكلب قد اختفيا، انطلقت على الفور للبحث عنهما في الوادي الذي كانوا يقصدونه دائماً فوجدته اخيراً عند حافة البحيرة.

«لا يجب ان تغادر الحديقة دون ان تخبر جسي» قالت له بلطف.

«جئت لارى المركب لانه يعجبني كثيراً».

«ربما يستطيع والدك ان يصطحبك الى الجزيرة لماذا لا تطلب منه ذلك؟» اقترحت عليه مبتسمة.

«اتأتين معنا؟» سألها وكله امل.

«ربما... لنعود الآن والا ستقلق جسي كثيراً».

وعادا الى الى المنزل يداً بيد، عندما مرا امام القصر، لمحت اليزون رجلاً يراقبهما من نافذة الطابق الثاني، أهو نيل؟.

كان من المستحيل ان تتأكد بسبب اشعة الشمس المنعكسة على الزجاج، تذكرت كلامها القاسي له وشعرت بالندم والخجل، لم تكن تهتم باندريه من قبيل الواجب، ولكن لانها كانت تحبه وتجد لذة معه...

في صباح اليوم التالي، استلمت اليزون رسالة من وزارة التربية والتعليم يخبروها فيها رسمياً ان مدرسة شيلبيغ ستقفل ابوابها نهائياً مع عيد الميلاد، وسننقل التلاميذ في الموسم القادم الى ستراتكوران حيث ستنتقل هي ايضاً للتعليم هناك.

«اليزون... هل تلقيت اخباراً سيئة؟» سألتها والدتها عندما لاحظت انقباض ملامحها.

ناولتها اليزون الرسالة، فقرأتها الوالدة ونظرت الى ابنتها بحنان.

«اوه يا عزيزتي، انا آسفة من اجلك، هل كنت على علم؟».

«علمت بذلك منذ عدة اسابيع، لكنني لم اكن اريد ان ازيد من همومك».

«اذاً لهذا السبب كنت تعيسة كل هذه المدة! انت تعلمين، اليزون، ستراتكوران ليست بعيدة...».

«وربما تحصل معجزة من هنا حتى الميلاد؟» قالت الفتاة محاولة ان تخفف عن والدتها، لكنه احتمال

ضعيف... هي تعرف ذلك، وامها ايضاً.

في نفس النهار، كانت تخرج من المتجر عندما التقت بجوني الذي لم تره منذ حفلة يوم السبت.

«انتظريني، لن اتأخر، سنعود معاً» قال لها وهو يدخل المتجر، ثم خرج بعد لحظات.

«اشعر بانك تحاولين تجنب رؤيتي منذ يوم السبت، اليزون» قال وهو يحمل سلتها ويمسك يدها باليد الاخرى.

«هيا جوني! فكر قليلاً، اذا رآنا القرويون هكذا، سيجعلون منا خطيبين».

«ليقولوا ما يحلو لهم! تصوري انا ارغب بتقبيلك! سيصاب هؤلاء الناس بالذهول!».

«لن تجرؤ ابداً» قالت وهي تسرع خطواتها.

«انتظري حتى نغادر القرية...» قال لها ضاحكاً بلهجة التهديد وتبعها.

تابعا سيرهما يثرثران حول ترميم روشبرين وتكلما عن آل غراهام والعيد، لكن لم يشر احدهما لنيل ماكبان.

افترقا أمام القصر، ووعدها جوني ان يأتي بنفسه ليأخذ الغداء.

«ستقدم لي بذلك شرفاً كبيراً» قالت له ضاحكة.

ثم مدت يدها لتأخذ سلتها منه، اغتنم جوني الفرصة وضمها اليه وطبع على شفتيها قبلة رقيقة، ولكن ما ان ابعد يديه عنها حتى خرج نيل ماكبان يحمل لوحاً من الخشب من احد المستودعات، نظر اليهما للحظة ثم دخل المنزل دون ان يلفظ كلمة واحدة، اختفى جوني بدوره وتابعت

ايزون طريقها وهي تتساءل اذا كان جونيّ يعلم بوجود نيل في المستودع وقبلها عمداً.

يوم الجمعة وصل اندريه كالعادة وركض وتعلق بعنقها.

«لقد وعدني والدي باننا سنذهب الى الجزيرة غداً!» قال لها بسعادة كبيرة» رآنا ذلك اليوم ونحن ننظر الى المركب...».

«الم اقل لك بانه سيأخذك الى الجزيرة؟».

اجابته وهي تتبادل الابتسام مع جسي.

«طلبت منه ان يصطحبك معنا، ايزون. ولكنه اجابني بانك مشغولة جداً».

اخفضت المربية نظرها وتابعت تقشير البطاطا. اما ايزون فقد احست بالخيبة رغماً عنها.

«انه على حق. ولكن ربما استطيع مرافقتكما يوماً آخر». اجابته وهي تحاول ان تظهر مرحها. «اترغب الآن باللعب مع بوبي؟».

تابعت ايزون خياطة ثوب ازرق كانت قد بدأت به بالامس عند الظهر، انضمت والدتهما لهم اثناء الغداء، كانت متعبة جداً.

«انهم يخرقون جدار المشغل. واخيراً سيكون لي مدخل مستقل. قضيت كل فترة الصباح بنزع اللوحات عن الجدران خوفاً من اتلافها».

«بامكاننا ان نذهب لمساعدتك بعد الظهر انا واندريه» اقترحت ابنتها.

«اوافق بكل سرور! فهذا يمنحنا فرصة للثرثرة قليلاً، انا

تقريباً لا اراك يا عزيزتي».

«اما انا، فسأحمل لكم الشاي في الساعة الثالثة». وعدتها جسي.

وهكذا رافقت ايزون واندريه السيدة ماكاي الى مشغلها، وعلى الفور انهمك الجميع في نقل اللوحات ولم يلاحظوا مرور الوقت.

«اشعر بالعطش». صرخ اندريه فجأة وقد جلس على احد الصناديق.

«بالتأكيد». اجابته ايزون ونظرت الى ساعة يدها.

«يا الهي انها الساعة الرابعة، يبدو ان جسي نسيتنا».

ذهبت هي واندريه الى المطبخ وناولته كوباً من الماء، ثم توجها الى المنزل. ما ان دخلا حتى سمعت ايزون صفير الابريق على النار. احست بالخطر وركضت الى المطبخ الذي كان عابقاً بالبخار.

«جسي!!؟» صرخت الفتاة وسحبت الابريق عن النار وفتحت النوافذ بسرعة. عندئذ سمعت انيناً ضعيفاً. التفتت جهة الصوت فرأت المربية ممددة على الارض والكرسي مقلوب بجانبها.

«اوه، جسي!». صرخت الفتاة وانحنت تتحسس جبين المرأة العجوز.

«صه، لا تتكلمي، ولا تتحركي، سأعود». ثم اسرعت الى الباب حيث ينتظرها اندريه.

«اركض بسرعة وابحث عن والدك! ثم اطلب من السيدة ماكاي ان تأتي بسرعة ايضاً».

«نعم». اجابها الصغير وخرج على الفور.

عادت ايزون الى جسي ودست وسادة تحت رأسها ولم تجرؤ على النظر الى ساق المربية التي يبدو انها مكسورة.

«صعدت على الكرسي لاتناول الاكواب». تمتمت العجوز.

«ولكن... لست ادري كيف فقدت توازني».

«ستأتي والدتي مع السيد نيل بعد قليل». طمأنتها الفتاة.

«سأحضر لك كوباً من العصير».

- ١٦ -

بعد دقائق قليلة. دخل نيل وجوني الى المطبخ، وانحنيا فوق جسي.

«انظر الى ساقها»، قالت ايزون.

رفع نيل رأسه.

«ايوجد طبيب في القرية؟».

«سأذهب لاحضاره». اقترح جوني.

«لا، هذا سيستغرق وقتاً طويلاً» قال نيل.

«اذهب واحضر سيارتي، سأصطحب جسي فوراً الى الطبيب، اما انت اليزون، فاحضري بعض الحرامات والوسائد» ثم التفت نحو المربية واضاف.

«لا تقلقي، انت بين ايدٍ امينة».

بعد عشرة دقائق رحلوا، وكانت السيدة ماكاي قد

www.elromancia.com

اصرت على مرافقتهم، ظلت اليزون وحدها مع اندريه وقد بدأ الانتظار الصعب، بعد نصف ساعة رن جرس الهاتف انه جوني يتصل بها من ستراثكوران.

«لم نجد الطبيب، اعطت زوجته حقنة لجسي لتخفيف الالم، ثم اخذها نيل الى انفرنيس».

«ووالدتي؟».

«انها معهما، ستتصل بك فور اطمئنانها على جسي».

«اذاً يجب ان انتظر كثيراً» اجابته وهي تفكر بالكيلومرات التي يجب ان يقطعوها للوصول الى انفرنيس.

«نيل يرجو منك الاحتفاظ باندريه حتى عودته لان والده يزور اقارب له في توري».

«حسناً، بالمناسبة... سيارتك لا تزال هنا، ستأتي لتأخذها؟».

«لا، اطلبي من احد العمال ان يعود بها الى ستراثكوران هذا المساء، المفاتيح على النابلوه، للحقيقة... نيل هو الذي اصر على تجنيبي كل هذه المشقة، اتساءل لماذا...».

كانت الفتاة قلقة جداً على جسي فلم تتساءل عن دوافع نيل، ولكنها فيما بعد تذكرت كلمات جوني الاخيرة وفكرت بها بعد ان نقلت رسالته لاحد العمال، وعندما عادت اعدت العشاء لاندريه، واخذت تروح وتجيء بقلق بانتظار اتصال والدتها.

في الساعة الثامنة اتصلت والدتها اخيراً.

«اليزون، يا عزيزتي، انا آسفة لانني تأخرت بالاتصال

بك، يفضل الاطباء الاحتفاظ بجسي في المستشفى بانتظار نتائج صور الاشعة، وهكذا قررت البقاء في انيفريس هذا المساء، كي اكون قريبة منها، سأقضي ليلتي عند ميغ».

«حسناً، قولي لنيل ان لا يقلق على الصغير وقبلي جسي عني وحاولي ان تتصلي بي غداً».

«حسناً، تصبحين على خير، يا عزيزتي».

اقفلت اليزون السماعة واصطحبت الصغير الى السرير.

«هل ستروين لي قصة جميلة؟».

«بالتأكيد».

ما ان دخلا الى غرفة نومها حتى بدأ المطر يتساقط بغزارة، روت للصغير قصة جميلة لكنه نام قبل نهايتها، فقبلته وارتدت قميص نومها ونزلت الى الصالون، جلست على الكنبة تشاهد فيلماً على شاشة التليفزيون، تثاءبت من شدة النعاس ونظرت الى الساعة، لقد انتصف الليل، نهضت بتثاقل لتطفأ جهاز التليفزيون، عندما سمعت طرقات على الباب.

انتفض الكلب الذي كان ممدداً على السجادة واخذ بالنباح.

«من الطارق؟» سألت الفتاة بقلق من خلف الباب.

«هذا أنا... نيل ماكبان».

فتحت الباب وتفاجأت بقلبها يدق بسرعة كبيرة عندما رأت وجه القادم.

«كنت سأنام» قالت بغباء.

«لن اؤخرك كثيراً كنت اريد فقط ان اعيد لك الحرامات

والوسائد، اتركي الباب مفتوحاً ريثما احضرها من صندوق السيارة» امرها بجفاف وقد ازعجه هذا الاستقبال منها.

ركض تحت المطر المنهمر وعاد بعد لحظات مع الاغراض، دخل الى الصالون ووضع ما يحمله على الكرسي.

«هذا كان يمكنه الانتظار حتى الغد» قالت اليزون التي لم تكن قادرة على منع نفسها من اظهار عدائتها له.

«بدون شك، ولكن والدتك رجتني ان اطمئن عليك» شرح لها دون ان يبعد نظره عنها.

ارتبكت الفتاة وتذكرت ان نيل فاجئها بالامس بينما كان جوني يقبلها، على كل حال، هي حرة ولا يملك هذا الرجل اي حق عليها، لكن لماذا تشعر بالارتباك امامه؟.

«انا بخير، شكراً لك، واندريه ايضاً» قالت بسرعة لتخفي توترها، «غداً سيكون مستعداً عندما تأتي وسيكون بامكانكما الذهاب الى الجزيرة باكراً...» ثم اضافت وهي تتمالك غضبها «لا تخف، سأتدبر الامر واتظاهر بأني مشغولة جداً، هكذا لن تكون مضطراً لاصطحابي معك!».

ظهرت الدهشة على وجه نيل.

«لا تقولي لي بانك ترغبين بالمجيء معنا؟» قال بابتسامته الساخرة.

«فقط مع اندريه، كنت سأجد لذة، نعم! ولكن معك انت...».

«اذا فهمت جيداً، لا تبدين مستعدة لتجديد التجربة».

«لنقل انني قمت بحياتي بنزهات اجمل، احب هذه

الجزيرة ولكنها لم تعد ملكاً لي والآن... انا متعبة جداً...».

«بمعنى آخر، انت تطردينني، بما اننا لا نستطيع التصرف كأشخاص متمدنين، الافضل ان اذهب، على كل حال، انا لست جوني!» وتأملها من رأسها حتى قدميها بنظرة ساخرة.

احست الفتاة بالدماء تغلي في وجهها.

«ماذا تعني؟».

«انت حرة في تفسير اقوالي كما يحلو لك!» اجابها بجفاف «اذا كان تصرفك امام الناس دليلاً على...».

«اتشير الى حادث الامس؟ اولاً روشبرين ليست مكاناً عاماً، او على الاقل حتى الآن! ثم عندما تتسلى بالدخول والخروج خلسة من الكراج، يجب ان تتوقع احياناً ان تكون شاهداً على بعض المشاهد التي لا تفهمها».

«انا لم اكن اتسلى، كنت اعمل».

تذكرت اليزون كلمات جوني الاخيرة، على الهاتف.

«آه، فهمت الآن لماذا اصريت على ان يعيد احد العمال سيارة جوني الى ستراتكوران! انت لم تكن تريد ان يأتي جوني الى هنا! تحاول حمايتي، لقد تأثرت كثيراً، لكن بامكاني ان اؤكد لك باني مع جوني لا اكون بخطر، لانه رجل لطيف ومهذب!».

«وانا، لست رجلاً... اشرحي لي اذاً كيف تقبلين رجلاً لطيفاً، هكذا؟» امسك كتفيها بسرعة وجذبها نحوه، ثم طبع على شفتيها قبلة حنونة.

لم تستطع الفتاة تمالك رغبتها القوية التي اجتاحتها فجأة، فاستسلمت بكل ارادتها للمساته وقبلاته، بينما كانت بين ذراعي جوني لا تشعر بأي انفعال، تجد نفسها بين ذراعي نيل ترتعش من شدة الانفعال، واخيراً لمعت الحقيقة في رأسها، انها تحب هذا الرجل الذي كانت تعتقد انها تكرهه... بارتعاشة صغيرة، ابتعدت عنه.

«اذهب من هنا! اخرج!» صرخت غاضبة من اكتشافها هذا.

«لا... لست مستعداً بعد للرحيل» قال بنظرة قاتمة.

«امنعك من لمسي».

- ١٧ -

«كنت تخافين مني؟ ربما انا لست رجلاً مهذباً كما اشرت منذ لحظات، ولكني ابداً لا استعمل العنف مع النساء».

«وعندما قبلتني، الم تكن عنيفاً؟».

«لكنني احسست بان قبلتي اعجبتك، لانك لم تقاوميني... بل دعوتني للمتابعة».

«انت اشتريت روشبرين، لكنك لم تشتريني!» ثم اتجهت نحو الباب وفتحته على مصراعيه واضافت.

«طالما انك لست حتى الآن مالكاً لهذا المنزل ايضاً، يحق لي ان اطردك، ألن تخرج؟ آه، انت لم تطلب مني ان ترى ابنك، الا تريد ان تطمئن عليه؟».

تأملها طويلاً بنظراته التي زادت من توترها.

www.elromancia.com

«انه ينام فوق في سريري».

نظرت اليه وهو يصعد السلم. هذا الرجل اساء اليها عندما ادرك مشاعرها التي تخفيها في طيات قلبها، رغبت في الانتقام وانتظرت عودته.

«المدرسة ستقفل ابوابها مع عيد الميلاد». قالت له عندما نزل من جديد.

«يجب على اندريه ان يدخل الى مدرسة ستراثكوران، اذاً لن اكون معلمته... هذا الخبر سيسعدك حتماً!».

تسمر مكانه. كانت قد تخطت كل الحدود، فهمت من نظرته.

«اسعد بذلك!» ردد بدهشة «لماذا؟».

«لاحظت موقفك عندما يكون اندريه برفقتي! لكنني لا احاول ان اسلب احداً شيئاً احب هذا الصغير لانه طفل رائع. ومن المؤسف ان تظهر نحوه كل هذه اللامبالاة.

نظر اليها بقسوة جعلتها ترتجف من الخوف. فركضت الى غرفة الجلوس. انضم اليها بسرعة واغلق الباب وراءه. كان شاحباً من الغضب.

«لن اخرج من هنا قبل ان تشرحي لي كلامك».

تراجعت مرعوبة ثم انفجرت كل مشاعرها المكبوتة:

«حسناً! انت لا يهمك سوى العمل في روشبرين. في هذا الوقت، يكون المسكين تعيساً وانت لا تلاحظ ذلك. هل لاحظت كم هو ممتن لك منذ الامس لانك ستصطحبه بنزهة اخيراً! حتى انك عندما تتكلم عنه، تقول دائماً الطفل. او اندريه لكن ولدي ابداً! اتعتقد حقاً انه لا يشعر

بشيء؟ انه يملك قلباً. ولديه حب كبير ليمنحه كما وانه بحاجة للحنان، للمداعبة والقبلات، لكنك... انت... في المناسبات النادرة، عندما تلمح لزوجتك تناديها والدة اندريه»

«ربما لانها لم تكن زوجتي».

لم تفهم الفتاة على الفور.

«اتريد ان تقول بانك لم تتزوجها؟».

«هذا صحيح».

«هذا يعني ان اندريه...».

«طفل غير شرعي؟ اهذا ما تخشين قوله؟ انت تدهشينني!».

«اوه، ارى...».

«انت لا ترين شيئاً، في الواقع آنسة ماكاي، ليس لديك اية تجربة في الحياة وانصحك بالتفكير قبل ان تطلقي احكامك عشوائياً سأروي لك الآن كل القصة... مع انها لا تعنيك ابداً. ولكني اعتقد انه من الافضل ان تعرفيها. من يدري... هذا ربما يجعلك تتعقلين!».

كانت كل كلمة تجرح الفتاة بالعمق.

«اندريه هو ابني بالتبني. والده الحقيقي هو دانكن، شقيقي الذي كان على علاقة قصيرة منذ سبعة اعوام مع فتاة برازيلية في ريو، عندما علم انها تنتظر مولوداً، كان قد خطب فتاة اخرى. بعد ولادة اندريه خصص مبلغاً يصل بشكل منتظم الى والدته دون ان يعترف لزوجته ابنة احد الاثرياء المدينة بامر ابنه. ثم، وبعد اشهر، علم ان والدة

www.elromancia.com

الطفل مريضة.

توسل الي كي ازورها. عندما وصلت، كان قد فات الاوان. توفيت والدة اندريه، وارسل الصبي الى دار الايتام، كان والداها فقيرين لكنهما لم يلمسا الشيكات التي كان يرسلها دانكن، تأثرت كثيراً بهذه اللامبالاة وعدم الاحساس بالمسؤولية، فؤجبرتهما على توقيع عهد بالسماح للصغير بالخروج من الملجأ. اليس اندريه هو ابن اخي؟ عندما رأيته علمت ان...»ثم رفع يده الى وجهه واضاف بمرارة: «وانت مقتنعة انني اهمل هذا الطفل... اوه، مهمة الوالد لا تكتسب بين ليلة وضحاها، لكنني اتعلم بفكرك الضيق، لا يمكنك ان تفهمي ذلك. بنظرك انا فشلت، اليس كذلك؟ والآن، سأصطحبك معي».

ثم اتجه نحو السلم، لكن ايزون امسكت ذراعه بسرعة.

«لا! انا... ارجوك». قالت له متلعثمة والدموع تتلألأ في عينيها. «انه ينام عميقاً انت... لن توقظه في منتصف الليل».

«حسناً» اجابها ببرودة بعد تردد «سأمر لاصطحابه غداً صباحاً». ثم خرج بسرعة وصفق الباب وراءه.

وصل نيل في الساعة التاسعة تماماً يرتدي بنطلون جينز وجاكيت صوفية، ويحمل بيد سلة الزاد وبيده الاخرى حذاء من الكوتشوك للصغير.

«انا ممتن لك لاحتفاظك بابني». قال لها بأدب جاف، ثم التفتت نحو الصغير «اندريه قل شكراً للانسة ماكاي».

نظرت اليهما من نافذة المطبخ يبتعدان يداً بيد باتجاه البحيرة.

حتى الآن، كانت تعتقد انها تكره نيل ماكبان. ولكنها كانت تكره نفسها. بفضل هذا الصغير البالغ ستة اعوام من عمره فقط، فهمته اخيراً.

اتصلت بها والدتها في الصباح واخبرتها بان جسي ليست مصابة بأية كسور، لكنها تعاني من رضة قوية في ركبتها وتمزق في العضل.

«ماذا حصل يا امي؟». سألتها ايزون عندما لاحظت ان والدتها تبحث عن كلماتها.

«حسناً... بما ان جسي لن تغادر المستشفى قبل الثلاثاء، سأقضي بضعة ايام عند ميغ... الديك مانع يا عزيزتي؟».

«ابداً، على العكس، اتخذت قراراً جيداً يا امي».

للحقيقة، كانت الفتاة مذهولة. هل كانت والدتها تشك كثيراً بردة فعلها لدرجة انها ترددت في سؤالها؟.

«انت تعبت كثيراً في الايام الاخيرة». اضافت ايزون.

«تحتاجين لبعض الراحة، اما انا فلا تقلقي علي».

«طمئني نيل ماكبان، لا تنسي».

«سأفعل، انتظري مكالمة مني عند المساء عند آل غراهام، واشتري عني باقة زهر لجسي».

اقفلت ايزون السماعة وهي تفكر بشرود، تلألأت دموعها فجأة. انها ليست سوى انانية! عارضت والدتها عندما رادت بيع روشبرين... تخاصمت مع نيل ماكبان

بينما كان يهتم بترميم القصر. . . نيل الغامض الذي تبنى، دون اي تردد، ابن اخيه الذي لم يكن احد يريده، بينما هي تجرأت على اتهامه بأنه لا يحب هذا الصغير! يبدو انها لا تزال بحاجة لتتعلم المزيد! لن تنسى ابداً ملامح وجهه مساء امس بعد ان انهى كلامه. . . لن تتمكن ابداً من محو من ذاكرتها نظرته القاسية المليئة بالفخر بالنفس والنبل. لان نيل الذي كانت تحتقره، كان رجلاً شريفاً. .

دخلت الى غرفة الجلوس وتلفتت حولها بيأس. ما هذه الفوضى! قررت ان تملأ الفراغ القاتل بالعمل على تنظيف المنزل رأساً على عقب.

في الساعة السادسة. انهت عملها وقد انهكها التعب، فأعدت لنفسها كوباً من الشاي. عاودتها الافكار القاتمة وغرقت في الندم واليأس. فدفعت كوبها بعصبية. فقط لو انها تجد مكاناً تلجأ اليه لتعيد ترتيب افكارها! فقط لو. . . من خلال النافذة لمحت فجأة على ضفة البحيرة، المركب يعود والوالد وابنه يتجهان نحو منزلهما. . . دون ان يمرا عليها.

نهضت وهزت كتفيها بنفاذ صبر. لماذا ترهق نفسها؟ ليس لدى نيل اي سبب ليزورها! هي تستحق ذلك. ابتسمت بمرارة ووقفت امام النافذة.

«لنخرج!»، قالت لبوبي الذي حرك ذنبه بمرح.
«سنقوم بجولة في الجزيرة!».

في الحديقة، تحسست الغسيل المنشور على الحبال، كان تقريباً جافاً. فوعدت نفسها ان تكويه بعد عودتها من الجزيرة.

كانت بعض الغيوم تتسابق في السماء الزرقاء. تسلقت ايزون المركب مع بوبي، وادارت المحرك فانطلق المركب على مياه البحيرة الهادئة. تنهدت ونظرت نحو الجزيرة التي تكبر شيئاً فشيئاً امام نظرها. تفاجأت بنفسها تتخيل فرحة اندريه هذا الصباح وهو يركب المركب مع والده ويتناول معه الزاد في الجزيرة.

تلألأت الدموع في عينيها. اوه، كم تتمنى ان يجد هذا الصبي السعادة اخيراً! نعم، سيتمكن ذات يوم من نسيان احزان طفولته. نيل القاسي المتزن بنفس الوقت سيكون والداً جيداً له، لانه عرف ايضاً في طفولته شيئاً من الظلم وافتقد للعدالة و. . . .

رفعت الفتاة يدها الى فمها فجأة عندما اقترب المركب من شاطىء الجزيرة. لقد فهمت اخيراً ما كان يقلقها منذ عدة ايام. . . فهمت ما كانت تحاول الهرب منه منذ عدة اسابيع. . .

قفزت الى اليابسة يتبعها الكلب وسارا بخطوات سريعة على الشاطىء. اذاً لهذا السبب كانت تقاوم ضد نيل ماكبان، خوفاً من ان يفرض نفسه على حياتها الخاصة. . . لهذا السبب، كانت تشعر بوجوده دائماً بالاضطراب. هذا الاضطراب لم يكن في الواقع سوى وسيلة للمقاومة والدفاع ضد ميول قلبها.

وصلت ايزون الى الساحل الغربي للجزيرة الذي تحبه كثيراً والذي يطل على جزيرة سكاي. لا تحب نيل ماكبان فقط، لكنها كانت تحبه دائماً...

كانت دائماً تحب رجلاً يحتقرها في المقابل ويتهمها بالانانية والسخافة... تأثرت كثيراً بهذا الاكتشاف، وجلست على صخرة تتأمل البحر، تذكرت حادثاً صغيراً كانت تدفنه في اعماق ذاكرتها.

كانت في السادسة من عمرها، بينما كان نيل وشقيقها اليك في الحادية عشرة من عمرهما. معلمتهما الانسة كارميشل كانت قد تركت الصف لتتكلم مع ساعي البريد، فجأة، وقعت زجاجة الحبر على طاولة اليك وبللت دفتره، فنهض بسرعة واتهم نيل ماكبان، ونشبت بينهما معركة على الفور. خافت ايزون من عودة المعلمة التي ستتعاقبهما حتماً اذا رأتهما يتعاركان، فتدخلت الطفلة لتفرق بينهما وتلقت من احدهما ضربة على اضلاعها. فصرخت من الالم عندما رأى الصبيان المتعجرفان وجهها الشاحب ودموعها، هدأ غضبهما. وحدث امر غريب، نيل، ابن اعداؤ ماكاي، دون ان يهتم باليك وببقية الزملاء، قال معتذراً: «اذا كنت انا من ضربك، ايزون، فانا اطلب عفوك، لم افعل ذلك عمداً». ابداً لم يكن يجب عليها ان تنسى ملامح القلق التي رافقت كلامه.

جمعت ايزون بعض الاحجار ورمتها على سطح المياه بشرود. ان اغلاق المدرسة هو بالنسبة لها الفرصة المناسبة لمغادرة شيلبيغ لانها لن تتمكن ابداً من النظر الى وجه نيل

كل يوم، والسكن على بعد امتار فقط عنه. هو يحتقرها وهذا ما يعذبها كثيراً. منذ الغد، ستتقدم بطلب نقلها الى انيغرنيس او الى ادنبورغ. هناك، ستحاول نسيان هذا الرجل... مع الوقت قد تتمكن من محوه من ذاكرتها.

سقطت نقطة مطر على يدها، رفعت ايزون رأسها ورأت غيوماً رمادية تتجمع في السماء، وفجأة، هب الهواء واختفت الجبال البعيدة بين الضباب.

«هيا بنا نعود بوبي!».

ركض الكلب على الفور وسلكا طريق العودة، عندما وصلت الى الشاطىء، توقفت بذهول اين هو المركب؟.

رأته فجأة في وسط البحيرة. كانت عندما نزلت منه غارقة في افكارها فنسيت ان تربطه، اخذت تنظر الى المركب يبتعد اكثر واكثر والسماء تسكب مطراً غزيراً.

ركضت ايزون واحتمت تحت الاشجار، لا يمكنها ابداً ان تسبح حتى المركب! التيار قوي وستتعب قبل الوصول الى نصف الطريق.

ازداد تساقط المطر وتجمعت السيول قربها.

«تعالى بوبي!». امرته وتسلقت الصخور باتجاه المنزل الصغير في اعلى التلة. بعد عشرة دقائق وصلت اليه وهي تدرك صعوبة الموقف. لا يوجد احد في منزلها يقلق على غيابها، كما وانها لا تحمل معها اي طعام ولا اي عود كبريت، ووالدتها التي لن تعود قبل ثلاثة ايام...

قامت بجولة على الغرف الاربعة بحثاً عن زاوية تنام فيها، ازداد يأسها، فعادت وجلست على اول درجة على

السلم.

«انا آسفة بوبي، لن استطيع ان اقدم لك العشاء هذا المساء»، قالت وهي تداعب رأسه، «لكنني مسرورة لانني اصطحبتك معي».

ظلت على هذه الحال وقتاً طويلاً تستمع الى المطر المنهمر بغزارة على السقف، لا تجرؤ على اغماض عينيها خوفاً من رؤية وجه نيل ونظراته المليئة بالاحتقار في افكارها.

بدون شك، نامت لانها حلمت. فجأة بان احداً يناديها، انتفضت مذعورة، وكان بوبي قد اختفى، دق قلبها بسرعة واخذت تصرخ في الظلام.

«بوبي... بوي!».

سمعت نباح الكلب من بعيد، ثم سمعت صوتاً يناديها.

«ايزون ايزون!!؟».

اذاً لم تكن تحلم... خرجت راكضة في الظلام غير مبالية بالمطر المتساقط على رأسها والدموع المنهمرة على خديها.

فجأة احست بيدين قويتين تمسكانها وصوتاً مألوفاً.

«الحمد لله انت سليمة معافاة!».

اعتقدت انها تحلم من جديد،،، نيل يضمها بين ذراعيه.

«اوه، لا، لا!» همست وهي تحاول الابتعاد عنه.

«لا... لا تقاومي... ابقي بين ذراعي» همس نيل بصوت ادهشها بحنانه.

رفعت رأسها والتقت نظراتهما، لم تكن نظراته تحمل اي اثر للاحتقار ولا للكره...

بقيا هكذا ينظران الى بعضهما تحت المطر الغزير للحظات طويلة، ثم داعب نيل وجه الفتاة بحنان.

«اعتقدت انك تُهت».

«كنت هنا... في المنزل... المركب...».

«رأيته ينساب في البحيرة ثم لاحظت ان غسيلك لا يزال على الحبال، رغم المطر الغزير، لم ترفعيه، اعتقدت انه اصابك مكروه» ضمها اليه اكثر واضاف.

«ركضت على الفور الى منزلك، لكن لم يكن هناك احد، ولاحظت فنجان الشاي على الطاولة في المطبخ، انتبهت ايضاً لغياب بوبي، عندئذ فقط فهمت، اوه يا الهي، يا له من كابوس!».

تنهد ودس وجهه في شعرها.

قفزت بسرعة الى المركب الثاني وانطلقت بسرعة، اتوسل الى السماء كي اجدك، ولكن عندما رأيت مركبك فارغاً...».

«انا آسفة، انها غلطتي كنت قد نسيت ان أربطه».

«لا يهم، اليزون، طالما انك بخير!» وبحث بحرارة عن شفتيها وهو يضمها بحنان، وتبادلا قبلة رائعة تعبر عن تصالحهما وشوقهما الذي تحرر اخيراً.

«لنعود» قال لها بحب «انت ترتجفين من البرد» وصلا اخيراً الى الشاطىء حيث المركبان مربوطان جيداً.

«لنأخذ مركبي محركه اقوى» اقترح وساعدها على

www.elromancia.com

الصعود اليه.

تمدد بوبي قرب سيدته بينما ادار نيل المحرك غادرا الجزيرة، لم يبعد نيل نظره عن وجه الفتاة التي تلمع عيناها ببريق غريب.

عندما وصلا الى اليابسة حملها بين ذراعيه حتى المنزل.

«اصعدي وبدلي ملابسك بسرعة» أمرها نيل.

«وانا ايضاً سأذهب الى منزلي لابدل ملابسي».

بعد حمام دافىء، ارتدت اليزون بنطلوناً وكنزة وجففت شعرها جيداً ثم نزلت الى المطبخ.

كان نيل قد سبقها رأته منحنياً فوق الكلب يجفف فروته بمنشفة كبيرة.

عندما رأى الفتاة تدخل، نهض واتجه نحوها.

«اليزون» تمتم وامسك يديها بيديه.

«نعم، نيل؟» اجابته بانفعال غريب.

«احبك، اليزون، واخيراً فهمت، اليس كذلك؟».

«نعم» اجابته متنهدة وقدمت له شفتيها، فتبادلا قبلة حارة معبرة اكثر من اي كلام.

فيما بعد، عندما تناولا العشاء دخلا الى غرفة الجلوس وجلسا جنباً الى جنب على الصوفا.

«متى فهمت انك تحبينني؟» سألها نيل.

«مساء امس، ذهبت بعد ظهر هذا اليوم الى الجزيرة على امل ان ارتب افكاري لانه بعد تلك المحادثة بيننا ليلة امس، اكتشفت انني احبك بينما كنت اعتقد انني اكرهك،

قررت اخيراً ان ارحل عن شيلبيغ وابحث عن عمل في ايفرنيس او ادنبورغ، فقط كي ابتعد عنك».

«وانا، الغبي المعجرف، كنت سأتركك ترحلين... اوه، اليزون، لقد تصرفت كوغد معك، كنت فظاً، انا...».

«لا» قاطعته ورفعت يدها الى فمه «لا، بل انا من يلام، كرهتك لانك سلبتني روشبرين، دون ان ادرك انني في الواقع احاول المقاومة في وجه القوة التي لا تقاوم والتي تجذبني نحوك، اكتشفت ايضاً انني كنت دائماً احبك... وأمام هذه الفكرة الجديدة، نسيت ان اربط المركب».

ضحك نيل وضمها اليه.

«وأنا، ادركت عندما رأيت المركب انني لن اتمكن من العيش بدونك...» ثم اضاف بحدة فجأة.

«لم انسي ابداً لقائنا في الغابة منذ تسعة اعوام».

«وانا ايضاً، لم انساه».

«كنت جميلة جداً، ذلك المساء، اليزون وبأية طريقة قاسية طردتيني، كنت احترق من الرغبة في تقبيلك لاسباب اجهلها، ظلت صورتك بالنسبة لي مرتبطة بصورة الروشبرين، احببت ذلك القصر كثيراً وكنت احسدك انت وأليك لانكما تسكنان فيه... خاصة انت...».

«تابع ارجوك» الحت عندما سكت عن الكلام.

«اليزون، سألتني يوماً لماذا زعمت بان روشبرين كان يجب ان يكون لي، اتذكرين؟».

«اذا كنت تفضل ان لا تقول لي، فأنا...».

www.elromancia.com

«من الآن وصاعداً، اليزون لن يكون هناك اسرار بيننا» قاطعها بنظرة مليئة بالحب «عندما كنت طفلاً، اكتشفت انهم اخفوا عنا اشياء كثيرة، منذ مئة عام تقريباً كانت الجزيرة تستعمل لاغراض غير شرعية كتهريب الويسكي... لم تكن عائلتانا غريبتين عن هذه العمليات، اثنان من اسلافنا كانا لاعبين لا يملان من لعب القمار، ذات مساء، دار الحظ الى جانب سلفك، ولعب على روشبرين وخسرها، لكن قبل ان يبزغ الصباح، ذهب احدهم الى مصلحة الجمارك واخبر المسؤولين عن عمليات التهريب التي تتم في الجزيرة، سلفي زُج في السجن... ولكن، شيء غريب، سلفك لم تلاحقه العدالة، يمكن بسهولة تخيل الضجة التي سرت في القرية! وهكذا، وعندما اغرم إبناهما بنفس الفتاة، كان ذلك كنقطة الماء التي افاضت الاناء، ومنذ ذلك الحين، اصبح الماكبان والماكاي عدوين لدودين».

«هذا يعني أن...».

«لا» اسرع بالقول ليطمئنها «لانه من المستحيل معرفة الحقيقة بعد كل هذه السنوات، عندما كنت صغيراً، كنت اؤمن بذلك، وعندما كنت ارغب بالتشاجر مع اليك، كانت هذه الفكرة تكفي...».

«كنتما لا تتوقفان عن الشجار، اذكر ذلك».

قالت مبتسمة «ربما كان بامكانكما ان تكونا افضل صديقين في العالم لولا هذا العداء العائلي».

«من يدري... ولكن من جهة اخرى، هذه النزاعات

كانت خبزنا اليومي» قال ضاحكاً «كيف يمكنني ان انسى تلك الفترة... وانت بصورة خاصة؟ اليزون... اوه، لو تعلمين لاية درجة كنت اشعر بالغيرة كلما رأيتك برفقة جوني كنت احاول ان اعذبك فقط من اجل الانتقام».

«وانا اذاً... وجدت نفسي اتعلق باندريه يوماً بعد يوم اكثر، عندما لاحظت ذلك، حاولت مقاومة هذا الشعور لانني كنت اخاف ان اتعذب... لم اكن اتخيل اننا سنجتمع نحن الثلاثة ذات يوم...».

«انه يحبك كثيراً، اليزون، يتكلم دائماً عنك، حتى انه سألني اذا كنت ستهتمين به ايضاً عندما يكبر».

«وانا التي كنت افكر بالرحيل...».

اسكتها نيل بقبلة حارة.

«انا بحاجة لك، اليزون، ابداً لم ارغب بامرأة اخرى كما ارغب بك، احياناً كنت تجعلين مني مجنوناً... مجنوناً ثائراً! وذلك المساء الشهير في الغابة، لم يعد بامكاني التحمل اكثر فقبلتك، لم اكن اشك بتأثير تلك القبلة علي» اضاف ضاحكاً وهو يضمها اليه اكثر.

«اوه نيل، لا تقلق بالنسبة لاندريه، سأعلمه اطول مدة ممكنة في مدرسة ستراثكوران، وسأهتم به جيداً...».

«من تكلم عن التعليم؟ انا بحاجة لك، بالتأكيد، ولكن انت ستكونين زوجتي، اريدك ان تنتقلي للعيش معي ومع اندريه في روشبرين... لبقية الحياة».

«نعم... اوه، نعم، لبقية الحياة... اوه، نيل، كم احبك!».

اليوم؟».

«عمل احمق» قالت بثبات «في الحقيقة.. ستايسي محبوبة ذات روح عالية ولديك مباركتي».

شيء ما لمع في عينيه اخافها لكنه قال فقط «شكراً لك، هل تفعلين شيئاً لي؟».

«ماذا؟».

«تأخذين عطلة، فأنت تبدين بحاجة لها».

«غريب، كنت في طريقي الآن لأجازة حين وصلت...».

اقترب منها وقبلها فلم تتحرك، لكنها صارت تتحدث بتقطع.

«انها محبوبة... لا يجب ان تشعر بالأسف لأجلي...» ما الذي تحاول قوله؟.

«لقد فسخت الخطوبة ايضاً بارادتها، يا هيلاري» قال.

«لم افعل شيئاً سوى اني كنت نفسي، كنت بالنسبة لها كحقل ليس اكثر، وهي سعيدة الآن جداً».

«لماذا... لماذا لم تخبرني هذا؟» سألت هيلاري.

قال «على أمل اني قد استطيع ان اثبت لك ان لا احد سيتأذى اذا انا وانت تزوجنا ثانية ستقولين.. نعم هل انا على حق؟».

«آه كليف» همست ونبضاتها تتسارع بحبه وعشقه.

«هيلاري انا احبك بل احببتك من البداية وما زلت، لن افعل شيئاً الا اذا كنت تحبينني».

«اذا كنت احبك؟» سألت باهتزاز وبكت «انا لم اتوقف

يوماً...».

«يا الهي» قال «انا ربما لم اتغير في عدة امور».

«اعلم» قالت هامسة «واعلم ايضاً اني احبك اكثر من اي شيء في حياتي».

«بعد كل ما فعلته بك...».

«كليف» ابتسمت بين دموعها «هل اتيت لتطلب مني الزواج ام لتقنعني بعدم فعل ذلك؟ انا لن اتزوج احداً غيرك».

«آه، حسناً في تلك الحالة» قال برقة «اذا كنت صادقة...».

«اجل» همست وهرعت الى ذراعيه.

ضمها كليف ودفن وجهه في شعرها وتعلقا ببعضهما لفترة، ثم قال «يقولون اذا لم تنجح في المرة الاولى استمر في المحاولة» تمتم بجاذبية.

«آه، احب ان افكر بذلك!».

ارادت بيا سيلبي ان تدخل الغرفة، لكنها توقفت ثم مسحت الدموع من عينيها، لأنها رأت الحنان الذي يطوقان به بعضهما «شكراً لله» همست ثم ذهبت وهي تهز رأسها «يا لنا من مخلوقات غريبة».

www.elromancia.com